الفصل السابع

كيف يصبح الإنسان ساحرًا؟

أظهرت الدراسة الماضية أنَّ الساحر الذي يستحقُّ هذا الاسم على وجه الحقيقة هو الذي يستعين بالشيطان في سحره، ولا يمكن أن ينبغ في السحر من لم يقم علاقة قوية مع الشيطان.

«وكلَّما كان الساحر أكفر وأخبث وأشدَّ معاداة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ» كما يقول ابن القيم[1].

ولذا «كان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام»[2].

ويزعم بعض الناس أنهم يَصِلُون إلى مرادهم بطريق السيطرة على الجنِّ، وقالوا إنَّ عندهم علما يستطيعون به تسخير الجان لمرادهم، وهذا العلم هو علم العزائم، وعَرَّف حاجي خليفة علم العزائم فقال: «والعزائم مأخوذ من العزم وتصميم الرأي والانطواء على الأمر والنية فيه، والإيجاب على الغير، يقال: عزمت عليك أي أوجبت عليك وحتمت عليك.

---

(١) التفسير القيم: ٥٨١.

(٢) التفسير القيم: ٥٨١.

ويريدون به في اصطلاحهم الإيجاب والتشديد والتغليظ على الجن والشياطين ما يبدو للحائم حوله المتعرض لهم به، وكلّما تلفظ بقوله: عزمت عليكم، فقد أوجب عليهم الطاعة والإذعان»[1].

ويزعم الفخر الرازي أنّ المعزِّم «إذا استجمع الشرائط وصوب العزائم صيرها الله تعالى عليهم نارا عظيمة محرقة لهم، مضيقة أقطار العالم عليهم، كيلا يبقى لهم ملجأ ولا متسع إلا الحضور والطاعة فيما يأمرهم به، وأعلى من هذا أنه إذا كان ماهرا مسيرا في السيرة الرضية وأخلاقه حميدة مرضيّة فإنه تعالى يرسل عليهم ملائكة أقوياء غلاظا شدادا ليزجروهم، ويسوقوهم إلى طاعته وخدمته»[2].

ويزعم هؤلاء أيضا «أن سليمان عليه السلام لما أعطاه الله الملك وجد الجان يعبثون ببني آدم وَيَسْخَرون بهم في الأسواق، ويخطفونهم من الطرقات، فسأل الله تعالى أن يولي على كلّ قبيل من الجان ملكا، يضبطهم عن الفساد، فولى الله تعالى الملائكة على قبائل الجن، فمنعوهم من الفساد ومخالطة الناس، وألزمهم سليمان عليه السلام سكنى القفار والخراب من الأرض دون العامر ليسلم الناس من شرهم، فإذا عثى بعضهم وأفسد ذكر المعزِّم كلمات تعظمها تلك الملائكة، ويزعمون أنّ لكلّ نوع من الملائكة أسماء أمرت بتعظيمها، ومتى أقسم عليها بها أطاعت وأجابت، وفعلت ما طلب منها، فالمعزِّم يقسم بتلك الأسماء على ذلك الملك، فيحضر له القبيل من الجان الذي طلبه أو الشخص منهم، فيحكم فيه بما يريد[3]».

---

(١) كشف الظنون: ٢/١١٣٨.
(٢) كشف الظنون: ٢/١١٣٨.
(٣) الفروق للقرافي: ٤/١٤٧.

وهذا الذي ذكروه من التدليس والتلبيس الذي يضحكون به على ضعاف العقول، ولم يدلَّ على صدق مقالتهم هذه عقل، ولم يصحَّ فيها نقل، والصحيح أنَّ هذا الذي يفعلونه والذي يسمونه بالعزائم إنما هو تعظيم وتبجيل للجن، وهو من جنس استعاذة المشركين بالجن عندما كانوا ينزلون واديا من الوديان في أسفارهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذه الآية: «كان الرجل من الإنس ينزل بالوادي، والأودية مظان الجن، فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض، فكان الإنسي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فلما رأت الجن أنَّ الإنس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغيّرهم. وبهذا يجيبون المعزِّم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم، فإنه يقسم عليه بأسماء من يعظمونه، فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطونهم بعض سؤلهم، لاسيما وهم يعلمون أنَّ الإنس أشرف منهم وأعظم قدرا، فإذا خضعت الإنس لهم، واستعاذت بهم، كانت بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته»[2].

والذي نعلمه من دراستنا للكتاب والسنة ومطالعتنا لما دُوِّن في موضوع السحر أنَّ الساحر لابدَّ أن يكون خاضعا للشيطان، بل عابدا له حتى يعينه الشيطان ويخدمه.

والشيطان وضع طرقا مختلفة لخدمته وتعبيد الناس له، كي يثبتوا بها كفرهم وضلالهم، ولكنها جميعها تشترك فيما بينها بأنها ترضي الشيطان، وتغضب الرحمن،

---

(١) سورة الجن: ٦

(٢) ايضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/١٢٠.

فبعض السحرة يَصِلُون إلى السحر بالمجاهدات النفسية، حيث يعتزلون الناس، ويقلون الطعام، ويكثرون التفكر، ولكنها مجاهدات نفسية شيطانية تؤدي إلى تخبيث النفس وإفسادها، ولا تؤدي إلى تزكية النفس وتطهيرها.

وآخرون يصلون إلى تحقيق السحر وإرضاء الشيطان بما يسمونه بالعزائم التي يعظمون بها الشيطان، بالاقسام به ومناداته والاستغاثة به، وفريق ثالث يزعمون أنهم يستعينون بروحانية الكواكب، وكذبوا فما للكواكب من روحانية، ولكنها الشياطين تنزل على كلِّ أفاك أثيم.

يقول حاجي خليفة مبينا طرائق الأمم التي تسلكها كلُّ أمة لبلوغ السحر وتحصيله: وطريق الهند بتصفية النفس، وطريق النبط بعمل العزائم في بعض الأوقات المناسبة، وطريق اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وطريق العبرانيين والقبط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعاني، فكأنه قسم من العزائم[1].

الشروط التي يجب توفرها في الساحر كي يعينه الشيطان

قررنا من قبل أنَّ الإنسان لا يكون ساحرا إلا إذا أصبح من عباد الشيطان وخدّامه وأعوانه، وقد استقرأ الذين درسوا تاريخ السحر والسحرة الشروط التي يجب توافرها فيمن يصبح ساحرا وليًا للشيطان وخرجوا من دراستهم بالشروط التالية[2].

١ ــ أن يبيع الساحر في حياته وبعد مماته نفسه وكلَّ ما يملكه للشيطان.

---

(١) كشف الظنون: ٢/٩٨١.

(٢) توسع محمد محمد جعفر في ذكر هذه الشروط. راجع كتابة في السحر: ص٤٧.

ويدلُّ على صحة هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ومعنى شروا به أنفسهم أي باعوها به.

ومتى باع المرء نفسه للشيطان فلابدَّ أن يتخلى عن كلِّ الأخلاق الفاضلة والأعمال الحميدة، ويصبح متحجر القلب، مطموس البصيرة، ساعيا في الشر مدبرا عن الخير.

٣ ـ أن يكون معاديا للأديان ساخطا عليها مستهزئا بها، متبرئا من جميع الكتب السماوية، جاهدا في حرقها وتمزيقها، واستعمالها في أغراضه الدنيئة.

ولابدَّ أن يكون في كلِّ هذا معظما لغير الله مشركا بالله، عابدا للشياطين أو النجوم والكواكب والأصنام أو البشر.

ويذكر ابن خلدون أنه لا يصبح الإنسان ساحرا إلا بالرياضة، «ورياضة السحر كلُّها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوّية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له، والوجهة إلى غير الله كفر، فلهذا كان السحر كفرا، والكفر من مواده وأسبابه»[2].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ كثيرا من عُبَّاد الشيطان «يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يكتبون حروف كلام الله ـ عز وجل ـ بنجاسة إما دم وإما غيره، وإمّا بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك»[3].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) المقدمة: ٩٢٦.

(٣) إيضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ١٢١/٢.

ويذكر أنَّ عُبَّاد الشيطان وأولياءه يقرأون من «العزائم والطلاسم ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن»[1].

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ أهمَّ ما يحرص عليه الساحر عند مزاولته السحر أن يلبس حذاء مكتوبا على مقدمته وجوانبه اسم الجلالة[2] ارضاءً للشيطان واغضابا للرحمن.

٣ ــ أن يكون مثالا للقذارة والوساخة ودناءة النفس، وأن يترك الطهارة والنظافة، حتى يكتسب جسمه وملابسه ومسكنه رائحة عفنه، وأن يكون مستعدًا لارتكارب الجرائم والقبائح والرذائل والانغماس في الفجور والاباحيّة، ويقضي وقته بعيدا عن الناس لا يعاملهم ولا يتصل بهم إلا إذا طلب منه ذلك لأعمال السحر وإلحاق الضرر بالناس.

وقد تحدث علماؤنا عن حال أولياء الشيطان، ووصفوهم بهذا الذي توصل إليه الذين تتبعوا أحوال السحرة.

يقول الشيخ بدر الدين بن عبدالله الشبلي: «وغالب ما يوجد الجن في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامة، والشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لارحمانية يأوون كثيرا إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين، وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين، والفقهاء منهم من عَلَّل النهي بكونها مظنة النجاسة، ومنهم من قال: تَعَبُّدٌ لا يعقل معناه، والصحيح أنَّ العلة في الحمام وأعطان الإبل ونحو ذلك أنها

---

(١) ايضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية ٢/١٠٢.
(٢) السحر: ص ٨٦.

مأوى الشياطين، وفي المقبرة أنَّ ذلك ذريعة الشرك مع أنَّ المقابر قد تكون أيضا مأوى الشياطين.

والمقصود أنَّ أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي، ولهم أحيانا مكاشفات، ولهم تأثيرات يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التي نُهِيَ عن الصلاة فيها، لأن الشياطين تتنزل عليهم وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان، وكما كانت تدخل الأصنام وتكلم عابديها، وتفتنهم في بعض المطالب، كما تفتن السحرة، وكما تفتن عباد الأصنام والشمس والقمر والكواكب»[1].

ويصف ابن تيمية حال هؤلاء، فيذكر أنهم لا يتطهرون، ولا يتوضؤون ويكون الواحد منهم «ملابسا للنجاسات معاشرا للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل، رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب» وقال عن هذه الأخلية: «إنَّ هذه الحشوش محتضرة» أي يحضرها الشيطان. وقال: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا، فإنَّ الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[2].

ثم يصف علامات أولياء الشيطان بأنهم «يباشرون النجاسات التي يحبها الشيطان ويأوون إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين، ويأكلون الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب، التي هي خبائث وفواسق، أو يشربون البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يلابسون الكلاب أو النيران، أو

---

(١) غرائب وعجائب الجن: ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢١٥/١١.

يأوون إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوون إلى المقابر، ولا سيما مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، ويكرهون سماع القرآن، وينفرون عنه، ويقدمون عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثرون مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن»[1].

٤ ــ والساحر لابدَّ أن يكون فاعلا للمحرمات، واقعا في الموبقات التي تغضب الرحمن وترضي الشيطان، فكثيرا ما يجلس السحرة عرايا في الأماكن المهجورة، ويذبحون الطيور والحيوانات ذاكرين عليها اسم الشيطان، أو ما شاءوا من أسماء المعبودات الشركية، ويخلطون الدم بالنبيذ بمسحوق مأخوذ من حيوانات ميتة أو مذبوحة على غير اسم الله ثم يشربون من هذا المزيج القذر ويلطخون به أجسادهم، ويرتكبون في احتفالاتهم من الآثام والمعاصي ما تأنف أحط الفاجرات من فعله.

ويجتهد السحرة في احتفالاتهم في جمع فضلات الطعام من أوعية القمامة أو من الحارات والأزقة والمخدرات ودماء الحيوانات والطيور، بل إنَّ بعض السحرة يقومون بقتل الأطفال الأبرياء إرضاء للشيطان، وجرت العادة أن يكون الإناء الذي يشرب منه الساحر إحدى جماجم الموتى بعد تهيئتها على شكل إناء.

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ السحرة يقومون بكثير من الموبقات من الفجور والشذوذ الجنسي وكانت هذه الطوائف تقوم باحتفالاتها على تلٍّ، وكانوا يقدمون فيه الضحايا من الأطفال بعد سرقتهم وذبحهم، وعثر البوليس الفرنسي على جثة غلامين على ذلك التل في مدة لا تزيد على ثلاثة أسابيع..

ويقتلون الأطفال لاستخدام دمائهم في السحر أو تقربا إلى الشيطان، وتؤخذ على الذي يريد أن يكون ساحرا شروط قاسية تهدف إلى تعبيد الساحر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢١٦/١١.

للشيطان، وقيامه على منهج السحر المضاد للحقّ والعدل، المجافي لدين الله الذي أنزله على رسله وأنبيائه.

فإذا توفرت هذه الشروط فيه فعليه أن يروض نفسه تدريجيا على هذه الموبقات والشرور لبضعة أشهر تمهيدا لتقذير نفسه وتدنيسها بالقذورات التي يحبها الشيطان، ثم عليه أن يطالع كتب السحر التي تبين له الطريق التي تقربه من الشيطان، وتجعله أهلا لأن يتنزل عليه.

والراغبون في بلوغ مرتبة السحر يسلكون طرقا متقاربة لمقابلة الشيطان أو أحد أتباعه، فيخرج الواحد منهم في ليلة مقمرة في مكان مهجور بعيدا عن العمران في منتصف الليل، وهناك يقوم بأعمال يحبها الشيطان ويرضاها كأن يخلع ملابسه، ويحيط نفسه بدائرة يرسم عليها الأشكال والرموز والطلاسم التي يحبها الشيطان ويرضاها، ثم يأخذ في الانشاد ممجدا الشيطان، داعيا له، راغبا إليه. وبعضهم يصحب معه بعض الحيوانات، ويقوم بذبحها وهو يمجد الشيطان، مهديا هذه الحيوانات له.

وقد يظهر له الشيطان في المرة الأولى أو المرات التالية، ويبرم معه عقدا يكتبه الراغب في أن يصبح ساحرا بمادة قذرة نتنة، وفي هذا العقد يتعهد هذا الإنسان الضال بأن يكون للشيطان عبدا. ويحدد الشيطان لهذا الضال موعدا لتعميده، وفي الموعد المحدد يجتمع السحرة الذين في المنطقة، ويأتي هذا المسكين إلى هذا الاجتماع ويحضر هذا الاجتماع بعض الأبالسة والأرواح الخبيثة، ويتم التعميد على صورة قذرة يذلّ فيها الساحر ويهان ويضرب، ويأكل القاذورات والميتة، ويسمى باسم قبيح.

وكل ما يناله هذا المسكين لقاء العبودية المشينة لعدوه اللدود هو أن يمنحه الشيطان المقدرة على الاتيان بالأعمال السحرية.

وقد ذكر المحامي الكبير (موريس حارسون)[1] في محاضرته التي ألقاها أمام معهد علوم ماوراء الطبيعة عام (١٩٢٩) «أنَّ أول عمل يقوم به الساحر عند تحالفه مع الشيطان.. وظهور الأخير لمقابلته له أول مرة هو تحرير ميثاق أو عقد ينص فيه أن يبيع الطرف الأول للطرف الثاني روحه ونفسه ومتاعه وكلَّ ما يملك نظير أن يمنح الطرف الثاني (الشيطان) للطرف الأول (الساحر) القوة والمقدرة لاتيان الأعمال السحرية».

وقدٍ أظهرت ساحرة (البارنيه) التي حوكمت وأعدمت حرقا عام (١٦١٩) لرئيس المحكمة وقتئذٍ وهو القاضي (بيودي لانكر) صورة العقد الذي أبرمته مع الشيطان، وهو عبارة عن قطعة قذرة من جلد القط أو الكلب ملوثة ومحررة بدماء الحيض وغيرها من القاذورات التي يستحيل على الإنسان أن يتحمل رؤيتها أو رائحتها الكريهة.

ولعل أخبث عقد حرر بين الساحر والشيطان هو الميثاق الذي أبرم بين الساحر (أوربان جراندييه) وإبليس، والذي حكم باعدامه في ١٨ من أغسطس سنة ١٩٣٤، ونفذ فيه الحكم علنا بسوق (لودون). ومازالت صورة هذا العقد محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس، ويوجد بمكتبة (أبسالا) صورة العقد المبرم بين الشيطان والساحر (دانيال سالتنوس) أستاذ اللغة العبرية الذي باع نفسه للشيطان، فلقي حتفه سريعا.

ومن العقود العجيبة التي يقولون عنها إنها ممهورة وموقع عليها من الشيطان الكبير العقد المحفوظ بدفتر خانه كاتدرائية (جرجينتي Girqite) وقد حرره أحد القساوسة مع إبليس، واللغة المحرر بها هذا العقد معقدة جدًا، حتى عجز للآن

---

(١) أحد أقطاب المحاماة في فرنسا في وقته، ويعتبر من المراجع الموثوق بها في علم السحر.

كل من رآه من أساتذة اللغات عن ترجمته أو معرفة أي كلمة من نصوصه، وهو سطور منحدرة مائلة ولم يفهم من العقد إلا اسم القس الذي وقع عليه.

إنَّ هذا الذي ذكرناه قليل من كثير، ولكنه كاف في توضيح حقيقة السحر والسحرة، إنَّ المؤمن هو الذي رضي بالله ربا، وبدنيه منهجا وطريقا، والساحر رضي بالعبودية للشيطان واتخذه ربا من دون الله، ووضع كلَّ امكاناته تحت أمره، ولذلك فإنَّ الله أخبرنا عن السحرة أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وأخبرنا أنهم اشتروا السحر والثمن الذي أعطوه هو أنفسهم، لقد باعوا الشيطان أنفسهم وأموالهم في مقابل السحر ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1].

قد يقال: كيف تزعمون أنَّ السحرة عباد الشيطان مع أننا نرى بعضهم يصلون ويقرؤون القرآن، ويكتبون في أوراقهم السحرية آيات من القرآن.

والجواب عن هذه الشبهة أنَّ هؤلاء يظهرون مثل هذا تغريرا بالناس كي ينخدعوا بهم، أما باطنهم فبعيد عن التقى والصلاح.

وقد أجرت جريدة السياسة الكويتية مقابلة مع ساحر تائب، صرح فيها بأنَّ الشياطين كانت ترشدهم إلى التظاهر بالتقوى أمام الناس، كما تأمرهم بالصلاة أمام الناس دون نطق بالآيات، فهو في هذه الحال يؤدي حركات فقط، وقد يظهر بعض الآيات القرآنية إذا لزم الأمر، وترشده إلى عدم ارتكاب الآثام والفواحش أمام الناس، حتى يقول الناس: إنَّ فلانا شيخ سيد ولي، فإذا خلى بنفسه أو كان مع أمثاله فليفعل ما يشاء[2].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢

(٢) جريدة السياسة الكويتية: ١٩٨٧/٦/٧.

الفصل الثامن

سحر الرسول ﷺ

المبحث الأول

الحديث الوارد في الموضوع

يبتلى الله رسله ﷺ بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، فقد ابتلى رسله بتكذيب أقوامهم لهم، ووصل ايذاؤهم إليهم، وابتلى بعض الرسل بالمرض، ومن الابتلاء الذي أوذي به الرسول ﷺ ما أصابه من السحر، روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من بني زريق[1]، يقال له: لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم ـ أو ذات ليلة ـ وهو عندي، لكنه دعا، ودعا، ثمّ قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته[2] فيه؟.

أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب[3]. قال: مَنْ طَبَّه؟ قال:

---

(١) هو يهودي، ولكنه كان حليفا لبني زريق فنسب إليهم.

(٢) أي في الرؤيا. وفي رواية عند أحمد: «أتاني ملكان».

(٣) مطبوب: أي مسحور، كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما قولوا للديغ سليما.

لبيد بن الأعصم. قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطه، وجفٍّ طلعة نخلةٍ ذكر[1]. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذرْوان. فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. فجاء فقال: يا عائشة كأنَّ ماءَها نقاعة الحناء، وكأنَّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين[2].

---

(١) المشط معروف. والمشاطة: ما يسقط من شعر الرأس عند مشطه. والجف: الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر، فتح الباري: (١٠/٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٥) ورواه مسلم في صحيحه: ٤/١٧٢٠. ورقم الحديث: ٢١٨٩.

المبحث الثاني
وجهة الذين ردّوا هذا الحديث

وقد كذّب بعض العلماء بهذا الحديث، وردُّوه ردا منكرا بدعوى أنّه مناقض لكتاب الله الذي برأ الرسول ﷺ من السحر.

فمن هؤلاء الجصاص حيث يقول: «زعموا أنّ النبي ﷺ سحر، وأن السحر عمل فيه، حتى قال فيه: إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله، وأنّ امرأة يهودية سحرته في جفّ طلعة ومشط ومشاقة، حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جفّ طلعة، وهو تحت راعوفة البئر. فاستخرج وزال عن النبي ﷺ ذلك العارض، وقد قال الله تعالى مكذّبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي ﷺ، فقال جلّ من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾»[1].

ثم قال: «ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام، واستجرارا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها»[2].

وقال أبوبكر الأصم: «إن حديث سحره ﷺ المروي هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنّه مسحور، وهو مخالف لنصّ القرآن حيث أكذبهم الله فيه، ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول

---

(١) سورة الفرقان: ٨

(٢) أحكام القرآن: ١/٤٩

بصحتها والله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[2].

ولأنَّ تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، ولأنَّه لو صحَّ ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أنه غير جائز[3].

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي: «ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجا في الصحاح، وذلك لأنه ليس كلُّ مخرج فيها سالما من القدح والنقد سندا أو معنى كما يعرفه الراسخون، على أنَّ المناقشة في خبر الآحاد من عهد الصحابة»[4].

وقال الشيخ محمد عبده: «وقدروا هاهنا أحاديث أنَّ النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه، حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه، وأنَّ الله أنباه بذلك، وأخرجت مواد السحر من بئر، وعوفي ﷺ مما نزل به من ذاك».

ولا يخفى أنَّ تأثير السحر في نفسه عليه السلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماسٌّ بالعقل آخذ بالروح.

---

(١) سورة المائدة: ٦٧

(٢) سورة طه: ٦٩

(٣) نقله عنه شارح المجموع: ٢٤٣/١٩

(٤) محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي

ثم قال: «وهو مما يصدق فيه المشركين ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[1] وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيل له أنَّ شيئا يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه.

وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة، ولا ما ينبغي لها إلى أنَّ الخبر بتأثير السحر قد صحَّ، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من المبتدعين، لأنه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر».

ويمكننا أن نلخص مآخذ أصحاب هذا الاتجاه في النقاط التالية:

١ ــ إدعاؤهم أنَّ هذا الحديث باطل، وأنه من وضع الملحدين.

٢ ــ زعمهم أنَّ هذا الحديث مقدوح في سنده.

٣ ــ ادعاؤهم بأنَّ هذا الحديث حديث آحاد، وأحاديث الآحاد تفيد الظن، ولا تفيد اليقين، ولا يجوز الاحتجاج بأحاديث الآحاد من أجل ذلك.

٤ ــ ادعاؤهم بأنَّ التصديق بهذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة، فإذا كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله يمكن أن يخيل إليه أنه أوحي إليه ولم يوح إليه، أو أنه بلَّغ ما أوحي إليه ولم يبلِّغ.

٥ ــ وقالوا السحر عمل الشياطين، وهؤلاء لا يسلَّطون على رسل الله وأنبيائه ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[2].

٦ ــ وقالوا: هذا الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بأنه مسحور ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[3].

---

(١) سورة الفرقان: ٨

(٢) سورة الحجر: ٤٢

(٣) سورة الفرقان: ٨

المبحث الثالث
الرد على الذين ردّوا هذا الحديث

والردُّ على أصحاب هذا الاتجاه من وجوه:

الأول: أما دعواهم بأن الحديث مكذوب من وضع الملحدين يردُّ عليه أنَّ الحديث اتفق على إخراجه البخاري ومسلم، وإذا وجدت الحديث قد اتفق الشيخان على إخراجه فإنَّه يكون في القمة من الصحَّة، وإذا وجدت الرجل يطعن في حديث رواه صاحبا الصحيح فاعلم أنَّ بضاعته في علم الحديث مزجاة.

الثاني: دعواهم أنَّ الحديث مقدوح في إسناده دعوى ليس عليها دليل، وقد نظرت في شروح الحديث أمثال: (فتح الباري) و(شرح النووي على مسلم) فلم ينقلوا عن عالم واحد من علماء الحديث طعن في الحديث أو في رواته، والحديث رواه عدَّة من الصحابة، ورواه عن كلٍّ واحد منهم رواة بلغوا الغاية في الضبط والعدالة. وليس كلُّ من ادعى دعوى في مسألة ما مصدق مالم يقم عليها البينات الواضحات.

الثالث: أما دعواهم بأنَّ الحديث حديث آحاد، وأحاديث الأحاد لا تقبل في المسائل الاعتقادية. فالجواب: أنَّ الصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ الأحاديث الآحاد تقبل في مسائل الاعتقاد كما تقبل في المسائل العملية، والذين فرقوا بينهما لم يأتوا بدليل يدلُّ على صحة هذا التفريق.

والقول بأنَّ الحديث الآحاد لا يقبل في مسائل الاعتقاد قول محدث، وقد بينت هذا في رسالة مستقلة بعنوان (أصل الاعتقاد).

هذا جانب والجانب الآخر أنَّ هذا الحديث يفيد العلم، لأنه قد احتفت به قرائن رفعته من مرتبة الظن إلى مرتبة العلم، فقد رواه أكثر من واحد من الصحابة، ورواه عنهم علماء أجلاء بلغوا الغاية في الحفظ والعدالة، وله من المتابعات والشواهد ما يجعل قلب العالم يستيقن صحة هذا الحديث، أضف إلى هذا أنَّ الأمة تلقته بالقبول، ولم يطعن في صحته واحد من علماء الحديث، والأمة لا يمكن أن تجمع على ضلالة.

وحسبنا ـ كما قلنا من قبل ـ أنَّ البخاري ومسلم اتفقا على إخراجه في صحيحهما.

الرابع: أما ادعاؤهم أنَّ هذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة فهو غير صحيح، لأنَّ الرسول ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللا في التبليغ والتشريع، وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر، لأنهم بشر كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1].

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها، يقول المازري فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني: «أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها. قالوا: وكلُّ ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل،

---

(١) سورة إبراهيم: ١١

وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل، وليس هو ثمَّ، وأنه يوحى إليه بشيء، ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كلُّه مردود، لأنَّ الدليل قد قام على صدق النبي فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا مالا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إنَّ المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطئهنَّ، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن». وفي رواية الحميدي «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم» قال الدراوردي: «يُرى» بضم أوله أي يظن، وقال ابن التين ضبطت «يرى» بفتح أوله. قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن. وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبدالرزاق «سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره» وعنده في مرسل سعيد بن المسيب «حتى كاد ينكر بصره».

قال عياض: فظهر بهذا أنَّ السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده. قلت: ووقع في مرسل عبدالرحمن بن كعب عند ابن سعد «فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر

حتى يذهب عقله. قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح.

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك. وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للمنكر حجة.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: «حتى كاد ينكر بصره» أي صار كالذي أنكر بصره حيث أنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته. ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أنَّ شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدلَّ ابن القصار على أنَّ الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: (أما أنا فقد شفاني الله) وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المُدعَى أنَّ في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل «فكان يدور ولا يدري ما وجعه»، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد «مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان» الحديث[1].

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٧

ومن الذين رَدُّوا هذه الشبهة القاضي عياض، فقد قال بعد سياقه للحديث: «وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور، فكيف حال النبي ﷺ في ذلك؟ وكيف جاز عليه وهو معصوم؟ فاعلم وفقنا الله وإياك أنَّ هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة، وتذرعت لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزَّه الله الشرع والنبي عما يُدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدْخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا. أما ما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيَّل إليه من أمورها مالا حقيقة له، ثمَّ ينجلي عنه كما كان.

وأيضا فقد فسَّرَ هذا الفصل الحديث الآخر من قوله: (حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن). وقد قال سفيان هذا أشدُّ ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله، ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات.

وقد قيل: إنَّ المراد بالحديث أنه كان تخييل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لم يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلُّها على السداد، وأقواله على الصحة»[1].

---

(١) الشفا للقاضي عياض: انظر شرح الشفا لنور الدين القادي: ٤/٤٣٩

الخامس: دعواهم أنَّ السحر من عمل الشيطان، والشيطان لا سلطان له على عباد الله، نقول: إنَّ المراد بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1] أي في الإغواء والإضلال، فهذه الآية كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في مخاطبته لرب العزة ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

أما إصابة الشيطان العبدالصالح في بدنه فالآيات لا تنفيها، وقد جاء في القرآن ما يدلُّ على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب في دعائه ربَّه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[3]، وقول موسى بعد قتله القبطي ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[4] ومنه سحرهم لموسى عندما ألقوا حبالهم وعصيهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[5].

السادس: أمَّا دعواهم أنَّ هذا الحديث مناقض للقرآن مصدِّق لمزاعم المشركين الذين زعموا أنَّ الرسول ﷺ رجل مسحور فأكذبهم القرآن في ذلك.

فالجواب عن هذا الزعم أنَّ هذا الحديث موافق للقرآن لو تدبروا، فموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنه تسعى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[6].

فهذا القرآن الكريم يدلُّ صراحة على أنَّ السحر قد يؤثر في الأنبياء، فإن قالوا: إنَّ هذا التأثير وصل إلى عقل الرسول ﷺ. قلنا: نأبى هذا، وتأثير السحر

---

(١) سورة الحجر: ٤٢.
(٢) سورة ص: ٨٣.
(٣) سورة ص: ٤١.
(٤) سورة القصص: ١٥.
(٥) سورة طه: ٦٦.
(٦) سورة طه: ٦٧.

لم يصل إلى هذا الحد، وقد علمنا من قبل أنَّ تأثير السحر لا يمكن أن يصل إلى حدّ الاخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه، لأنَّ النصوص قد دلَّت على عصمته في ذلك، وهذا سبق بيانه.

ثمَّ إنَّ مراد المشركين من قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[1] أن الرسول ﷺ إنما كان يصدر عن جنون وخيال في كلِّ ما يقول ويفعل، وفيما يأتي ويذر، وأنه ليس برسول، وأنه لم يوح إليه شيء، وأنَّ القرآن ليس من عند ربه، وإنما هو خيال وسحر[2].

فالقول بأنَّ الرسول ﷺ سحر ليس هذا تصديقا للمشركين ولا موافقيهم فيما أرادوا وفيما عنوا.

---

(١) سورة الإسراء: ٤٧.
(٢) فنون السحر: ص١٤.

الفصل التاسع

علاج السحر والوقاية منه

المبحث الأول

طرق الأمم في الوقاية من السحر والخلاص منه

كانت الشرائع السماوية السابقة قد أرشدت الناس إلى الطرق التي تقي من السحر وتخلص منه، ففي الموطأ عن كعب قال: «كلمات أحفظهن من التوراة، لولاها لجعلتني يهود حمارا، أعوذ بالله العظيم، الذي لا شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى، ما علمت منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلق، وذرأ وبرأ».

ولكنّ الأمم ذهبت بعيدا في معالجة السحر والوقاية منه، وقد حفظت لنا آثار الغابرين تعاويذ كان يلجأ فيها المسحور أو من يخشى السحر إلى الآلهة التي كان يعبدها كي تحميه من السحر والسحرة وما يكيدونه به من شرّ.

ومن هذه التعاويذ الشركية هذه التعويذة الفرعونية يقول صاحبها:

السلام عليك يا حورس.

يا أيها الموجود في بلد المئات.

يا حاد القرنين.

يا بالغ الهدف.

إني قصدتك لأمدح جمالك.

ألا فلتقض على الشيطان الذي يتملك جسدي.
ولم يدر هذا المسكين أنه لجأ إلى من لا يغني عنه شيئا.

وهذه تعويذة شركية أخرى حفظتها لنا الآثار التي كشفت في مدينة بابل، تقول هذه التعويذة مخاطبة الآلهة المزعومة!

انهضي أيتها الآلهة واستمعي لشكاتي.
امنحيني العدالة وخذي علما بحالي.
لقد صنعت تمثالا لساحري ولساحرتي.
لقد وقفت ذليلا أمامك وعرضت عليك قضيتي.
إنه بسبب هذا الضرر الذي ألحقاه بي.
وبسبب هذه الأشياء البخسة التي تناولاها.
فلتمت هذه الساحرة وامنحيني الحياة أيتها الآلهة.
ولتتحطم تميمة هذه الساحرة وليفسد سحرها.
وليطهرني الغصن المقطوف من شجر البينو.
وليخلصني هذا الغصن ولتتبدد رائحة فمي الخبيثة في الهواء.
ولينظفني عشب المشتكل الذي يملأ الأرض.
وقبل أن تجعلوني في إشراك عشب الكنكل.
فلأكن في نظافة عشب اللاردو وبهائه.
إنَّ تعويذة الساحرة خبيثة ضارة.
فلترتد كلماتها إلى فيها وليقطع لسانها.
ولتبتليها آلهة الليل بآفة لسحرها.
إنَّ حراس الليل الثلاثة يبطلون سحرها الآثم.
وليكن فمها شمعا ولسانها عسلا.

ولتذب الكلمة التي قالتها وكانت السبب في تعاستي كما يذوب الشمع.
ولتذب التعويذة التي عملتها كما يذوب العسل.
ولتقطع عقدة السحر التي عقدتها إلى شطرين وليتلاشى كل ما صنعته.

هذه إحدى التعاويذ الشركية الكفرية التي كانت مستعملة قديما في بلاد بابل وآشور، ومنها يتبين أنهم كانوا يستخدمون في سحرهم التماثيل السحرية والعقد، وخصائص بعض الأشجار والأعشاب، وكانت التماثيل السحرية تصنع في ذلك العهد من الطمى والشمع والدهن وغير ذلك من المواد كما كانت تستخدم بطرق مختلفة.

ودلت البحوث على أنَّ أهل بابل كانوا يستعملون مواد أخرى مستعملة في السحر مثل الخمر والزيت والملح والتمر والبصل واللعاب. واستخدموا أيضا الأشربة والمعاجين المختلفة ذات التأثيرات السحرية كما قاموا ببعض الشعائر السحرية كايقاد النيران وتدخين البخور[1].

ولا يزال كثير من المعاصرين في العالم الغربي يلجؤون إلى التعويذات أو التمائم لإفساد عمل السحرة، ويسمى هذا النوع من العمل بالسحر الأبيض.

ويرى هؤلاء أنَّ أفضل وسيلة لإبطال عمل الساحر وافساد مفعول السحر الاستعانة برجال الدين لتلاوة الآيات الدينية وإقامة شعائرها، ومع الدعاء والابتهال إلى المولى -عزَّ وجل- لرفع الضرر عن المسحورين أو المصابين. أو الاستعانة بالعلماء الإخصائيين بمنافع ومضارّ البذور والأعشاب مع درايتهم بالأجرام السماوية وتأثيرها المفيد والضار لاستخدام معلوماتهم ضد السحر.

ومن هذه الفكرة الأخيرة نشطت أعمال السحر الأبيض لعلاج السحر الأسود، فانتشرت في جميع أنحاء أوروبا مختلف التعاويذ والتمائم التي كان

يصنعها هؤلاء السحرة، وراجت رواجا عظيما. واشتهر من هؤلاء السحرة (جيمس هاللث) الذي أطلق على نفسه اسم (الساحر الأبيض) و (شارل لام) الذي شرح روايات شكسبير والدكتور (سيمون ريد). وقد تخصص في عمل تعاويذ الحب والغرام.

ولا يقتصر عمل هذه التعويذات على رد فعل السحر فقط وإبطال تأثيره، بل يستخدمها الكثيرون لأغراض مختلفة مفيدة، كمنع النحس والحسد أو اتساع الأرزاق ورواج التجارة، أو للقضاء على الأزمات النفسية وغيرها التي لا دخل للسحر فيه بتاتا.

وقد ورد الكثير جدا من وصفات التعويذات لكل غرض، فالمنحوس مثلا.. يصنع ـ سواء أكان رجلا أو امرأة ـ خاتما من الفضة ينقش عليه صورة رجل أو امرأة (حسب الحالة) جالسة على الأرض ومسندة رأسها بيدها اليمنى إذا كانت المنحوسة سيدة، أو على يده اليسرى إن كان المنحوس رجلا كوضع الإنسان وهو يفكر في شيء مهم.

أما إذا كان المنحوس يعتقد أنَّ نحسه يرجع إلى عمل ساحر أو ساحرة فإنه يصنع عروسة من القماش على شكل الدمية التي يلعب بها الأطفال بحيث تكون على شكل رجل أو امرأة حسب اعتقاده في جنس من عمل له السحر.. ويكسو هذه الدمية بالملابس الخاصة بالرجال أو النساء (حسب اعتقاده)، ويرسم لها عيونا وحواجب وفما.. الخ، ويضع خصلة من الشعر على رأسها حتى تبدو رجلا أو امرأة مصغرة، ويرشق هذه الدمية بالدبابيس في كل أجزاء جسدها، ثمَّ يلقى بها في النار، مع استعمال بخور زكي الرائحة.

ولكلِّ مملكة وشعب عوائدهم وتقاليدهم في صنع التعويذات أو التمائم التي تمنع عنهم تأثير السحر أو تبطل عمله، فالإيطاليون يستعملون مسحوقا من نبات

خاصٌ يضعونه في لفافة صغيرة من القماش، أو كيس جلدي صغير، ويعلّقونه في رقاب الأطفال والمواشي أو البهائم، أو يجعلونه في ملابسهم إن كانوا كبارا للحماية من السحر والسحرة.

وكان المزارع في فرنسا إذا شكَّ في أنَّ شخصا ما يريد أن يسحر بهائمه أو مزروعاته يسرع إلى حلب إحدى البقرات، ويقدِّم للشخص المشكوك فيه بعضاً من لبنها الممزوج بالنبيذ، فإذا شربه كان شكه في محلِّه واستراح، وإن رفض شُرْبَه فإنه يصبه على مواشيه أو زرعه حسب رغبته، اعتقاداً منه أنَّ هذا يفسد عمل الساحر.

وكانوا وما زالوا للآن يصنعون التمائم والتعاويذ على شكل الأساور والخواتم المركب عليها فصوص من الأحجار الكريمة، أو يستعلمون الأحجار ذاتها كتمائم ينقشون عليها بعض الصور أو الرموز.

ويوجد بالمتحف البريطاني الخاتم الذي صنعه ساحر مشهور (للورد نيفل) وكان شابا مقامرا مغامرا ورث عن عائلة (وستمورلاند) أموالا طائلة، ويقال: إنه أصاب بهذا الخاتم أموالا طائلة سواء كان في الميسر أو المضاربات المالية، ولكنه لم يستمتع بها كثيرا إذ عاجلته المنية وهو في العقد الثالث من عمره . .

ومن العادات التي كانت مشهورة بإنجلترا أنه إذا أصيب شخص بمرض استعصى شفاؤه، ونسبوه إلى السحر أن يحملوا المريض على حمار بالمقلوب ـ أعني يبقى وجهه إلى ذيل الحمار ـ وينتفون بضعة شعرات من ذيل الحمار، ويضعونها في كيس جلد صغير يعلق في رقبة المريض، ويصنعون له تاجا من الأشواك يضعه على رأسه، ويسيرون به إلى الخلاء حيث يختارون بقعة فسيحة يسير فيها الحمار بالمريض تسع مرات، ثم يعودون إلى منازلهم آمنين مطمئنين.

وفي فرنسا كانوا يأخذون المريض من منزله مغمض العينين في ليلة مقمرة إلى إحدى الحدائق العامة، ويختارون بقعة منها نادية، ويركع المريض في هذه البقعة وظهره لجهة القمر، ويأخذ من الطين ويمسح على الجزء المصاب من جسمه، ويضع قطعة نقود فضية في هذه البقعة، ثم يلتفت لجهة القمر في البقعة ذاتها، ويركع ويعيد العملية كلّها، ثم يزيل الرباط عن عينيه، ويتطلع للقمر برهة قصيرة، ويعود إلى منزله.

وفي تركيا وشبه جزيرة البلقان كانوا يحضرون بيضة مكتوب على قشرتها بضعة كلمات دينية بمداد أو لون أحمر أو أزرق لا تمحوه المياه، ثم يضعون هذه البيضة في وعاء به ماء مغلي، ويتركونها حتى تستوي تماما، فيدفنونها في دفاية بها نار، ويصبون الماء المغلي على الدفاية حتى تطفأ نيرانها، ثمّ تؤخذ البيضة بعد ذلك ويأكلها المريض.

وفي ألمانيا كانوا إذا أرادوا منع الساحر أو الساحرة من الاقتراب من منازلهم أو لتجنب ضررهم يذبحون أرنباً أو ديكاً ويأخذون قلبه ويضعون به بضعة دبابيس صغيرة ثم يشوونه . . وأول كلب ينبح أو قطة تموء على عتبة الدار يخرج أحد أفراد العائلة ويلقمها هذا القلب، وتعمل الدبابيس في جسدها، فتجري صارخة، ولا تقوى بعد ذلك أية ساحرة أو ساحر على الإضرار بهذه العائلة.

ومن التعاويذ التي شاعت بين المتزوجات في جميع جنوب أوروبا أنه إذا شكّت أي سيدة في نية زوجها لها، أو اعتقدت أنّ هناك من تعمل على سحره وإبعاده عن زوجته كانت تعمد إلى خصلة صغيرة من شعرها تغرسها في قطعة صغيرة من اللحم وتدفنها في غرفة النوم، ثم تحضر (جوانتي) تضع في اليد اليمنى منه دبوسا، وفي اليسرى إبرة، وتحرقهما حتى يصيران رمادا، فتجمعه وتضعه في لفافة تدسها في الوسادة أو المرتبة.

وكلنا يعرف الخرافة الشائعة المتعلقة بحذوة الحصان واعتقاد الكثيرين في أنها مجلبة للحظّ أو مانعة للنحس.

وهذه أيضا إحدى بقايا التعاويذ التي كان يستعلمها سكان (لانكشير) بانجلترا حيث كان السحر على أشده.

فقد شكت الأهالي إلى رجال الدين من سرقة السحرة لجيادهم بقصد تعذيبها أو قتلها ـ لأنَّ جميع سحرة العالم لا يكرهون شيئاً أو حيواناً أشد من كرههم للخيل ـ ويقال إنَّ الجواد بالذات دون سائر الحيوانات له غريزة يشعر بها عند اقتراب شيء مخيف منه، ويرى الأرواح الشريرة بسهولة فيصهل ويرفض السير . . الخ ولذا كان مقت هذه الأرواح والسحرة له شديدا، لأنه يحذر الناس منها، ويشعرهم بوجودها. . . فأشار رجال الدين على الأهالي بتعليق حذوة حصان على المكان المخصص لمبيتهم، فهذا يمنع السحرة من الاقتراب منهم.

وكان أهالي ويلز بانجلترا يستعينون على فساد السحر بنبات يطلقون عليه (صبير القديس جون). يصنعون منه فتيلا أو مشعلا يطلقونه في منازلهم. . وهذه العادة أيضا ما زالت بيننا للآن خصوصا عند الأجانب المقيمين بيننا فترى العرسان الجدد بعد زواجهم مباشرة يعلقون باقة من هذا الصبير على دورهم أو مساكنهم لمنع الحسد أو السحر[1].

وهذه النظرة التاريخية تظهر لنا طرائق الأمم غير المسلمة في محاربة السحر والوقاية منه وإزالته، وهي تتمثل بالرقى والتعاويذ والطلاسم، وكل هذه الأعمال مصتبغة بالكفر والشرك والعبودية للشيطان، وبذلك يظهر مدى إضلال الشيطان لبني آدم، فإنه يضلُّ بعضا من البشر بامتهانهم السحر، ويضلُّ آخرين إذ يلجئهم إليه لحلّ السحر الذي صنعه.

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ٢٢٣ ـ ٢٢٧

المبحث الثاني

موقف الإسلام من علاج السحر والوقاية منه

حلُّ السحر عن المسحور عند أهل العلم من المسلمين يسمى بالنشرة، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «قال أبوالسعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج من كان يظنُّ أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال.

وقال غيره: وَنَشَره أيضا إذا كتب له النشرة، وهي كالتعويذة والرقية. وقال ابن الجوزي: النشرة حلُّ السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر»[1] ولذا فإنَّ الرسول ﷺ عدَّها من عمل الشيطان، في السنن لأبي داود ومسند أحمد عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن النشرة، فقال: «هي من عمل الشيطان»[2].

المطلب الأول

حكم الإسلام في اللجوء إلى الساحر لحلّ السحر وإزالته

لا يرضى الإسلام من أتباعه أن يلجأوا إلى السحرة لحلِّ السحر عن المسحور، وحال من يلجأ إلى الساحر كحال القائل: وداوني بالتي كانت هي الداء، وحاله أيضا كحال المستجير من الرمضاء بالنار.

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٤

(٢) رواه أبو داود ورواه أحمد (٣/٢٩٤) وإسناده صحيح.

يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «يحرم حلُّ السحر عن المسحور بسحر مثله، فإنه معاونة للساحر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يحلُّ السحر إلا ساحر. . . ولهذا ترى كثيرا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه، ليضطّره بذلك إلى سؤاله حلّه، ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم»[1].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك، ففي صحيح البخاري عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: «رجل به طب، أو يؤخذ عن امرأته، أيحلُّ عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأمّا ما ينفع فلم ينه عنه»[2]. وروي عن أحمد إجازته، وصحَّ عن ابن مسعود والحسن النهي عنه.

والقول الثاني هو الصحيح. يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «قال بعض الحنابلة: يجوز الحلّ بسحر ضرورة. والقول الآخر أنه لا يحلُّ، وهذا الثاني هو الصحيح. وحقيقته أنه يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحبُّ من ذبح شيء أو السجود له أو غير ذلك، فإذا فعل ذلك ساعد الشيطان، وجاء إلى إخوانه الشياطين الذين عملوا ذلك العمل، فيبطل عمله عن المسحور.

وكلام الأصحاب هنا بين أنه حرام ولا يجوز إلا لضرورة فقط، ولكنَّ هذا يحتاج إلى دليل، ولا دليل إلا كلام ابن المسيب.

ومعنا حديث جابر في ذلك[3]، وقول ابن مسعود وقول الحسن لا يحلُّ السحر إلا ساحر، وهو لا يتوصل إلى حلّه إلا بسحر. والسحر حرام وكفر،

---

(١) معارج القبول: ١/ ٥٣٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر. فتح الباري: ١٠/ ٢٣٢

(٣) حديث جابر: أنَّ الرسول ﷺ سئل عن النشرة، فقال: هي من عمل الشيطان. رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.

أفيعمل الكفر لتحيا نفوس مريضة أو مصابة؟ مع أنّ الغالب في المسحور أنه يموت أو يختل عقله، فالرسول ﷺ منع وسدَّ الباب، ولم يفصل في عمل الشيطان ولا في المسحور»[1]:

ويمكن أن يحمل كلام من أجازه على النشرة بما هو مشروع وجائز، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: «قال ابن القيم، النشرة حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان: حلُّ السحر بمثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز.

قال الشيخ في شرح هذا الكلام: «هذا الثاني هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب، أو على نوع لا يدري هل هو من السحر أم لا؟ وكذلك ما روي عن الإمام أحمد من إجازة النشرة، فإنه محمول على ذلك، وغلط من ظنَّ أنه أجاز النشرة السحرية، وليس في كلامه ما يدلُّ على ذلك. بل لما سئل عن الرجل يحلُّ السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس.

قيل: إنه يجعل في الطنجير ماءً ويغيب فيه فنفض يده، وقال لا أدري ما هذا.

قيل له: أترى أن يؤتى مثل هذا؟ قال: لا أدري ما هذا؟

وهذا صريح في النهي عن النشرة على الوجه المكروه.

وكيف يجيزه، وهو الذي روى الحديث أنها من عمل الشيطان، لكن لما كان لفظ النشرة مشتركا بين الجائزة والتي من عمل الشيطان ورأوه قد أجاز النشرة، ظنوا

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/١٦٥

أنه أجاز الذي من عمل الشيطان، وحاشاه من ذلك»[1].

المطلب الثاني
الطرق الشرعية في الوقاية من السحر والسحرة

خير علاج للسحر أن يتقيه المرء قبل وقوعه وحدوثه، فالوقاية خير من العلاج.

والساحر إنسان ضال مستهام بحبِّ الشرِّ والإفساد، وهو يستعين على تحقيق أغراضه الفاسدة بالشيطان، وقد بين لنا القرآن كيف يحصِّن المسلم نفسه من الشيطان وأعوانه وأتباعه، ومن هذه الطرق:

١ ــ **الاستعاذة بالله**. وقد أرشدنا القرآن إلى الاستعاذة في غير موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[2]. وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[3].

وأفضل ما يُتعوذ به المعوذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

والاستعاذة التجاء واحتماء بالله العزيز الحكيم العليم البصير الذي يعلم كيد الشيطان والسحرة، وهو قادر على رد كيدهم ومكرهم.

٢ ــ **تقوى الله**، وحفظه عند أمر الله ونهيه، فمن اتقى الله تولَّى الله حفظه ولم يكله إلى غيره ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[4] وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٧
(٢) سورة الأعراف: ٢٠٠
(٣) سورة المؤمنون: ٩٧
(٤) سورة الطلاق: ٢

وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[1].

٣ ــ **التوكل على الله والاعتماد عليه**، فمن توكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[2].

٤ ــ **تجريد التوبة** إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3] وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[4].

٥ ــ **الصدقة** والإحسان فإنَّ لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء والسحر والحسد.

٦ ــ **تجريد التوحيد** والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضرُّ ولا تنفع إلا بإذنه، وقد قال ربُّ العزة في السحر ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[6].

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه.

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٠
(٢) سورة الطلاق. ٣
(٣) سورة الشورى: ٣٠
(٤) سورة آل عمران. ١٦٥
(٥) سورة البقرة: ١٠٢
(٦) سورة يونس. ١٠٧

٧ ــ الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة وقد سمَّى ابن القيم الرقى بالقرآن والأدعية المأثورة بالأدوية الإلهية، وبين أنها من أعظم ما يقي الإنسان من السحر ويدفع شر السحرة، وفي هذا يقول: «ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلَّما كانت أقوى وأشدّ كانت أبلغ في النشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كلٍّ واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له.

فالقلب إذا كان ممتلئا من الله، مغمورا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يخلُّ به، يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه، وعند السحرة أنَّ سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات.

قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقا بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدَّة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره»[1].

---

(١) زاد المعاد: ٣/١٠٥

وابن القيم في هذا الكلام القيم الذي نقلناه عنه يرشدنا إلى أنَّ المسلم يجب عليه أن يحصن نفسه دائما بالأوراد الإلهية، والدعوات والأوراد والتعوذات النبوية، وبذلك يتقي السحر قبل وقوعه، فإنَّ الإنسان الذي لا يحصن نفسه بهذه الأدوية الإلهية هو الذي أعان على نفسه، خاصة إذا علَّق قلبه بغير الله.

وسنسوق لك في خاتمة هذا المبحث بعض الأوراد والأدعية والأذكار التي تحصن من السحر والشياطين، كما تنفع في مداواة من أصابه السحر.

المطلب الثالث
الطرق المشروعة لإزالة السحر بعد وقوعه

١ ــ الرقى والتعاويذ

من أعظم ما يزيل السحر بعد وقوعه الرقى، يقول ابن حزم: «جربنا من كان يرقي الدمل الحادَّ القويَّ الظهور في أول ظهوره، فيبدأ من يومه ذلك بالذبول، ويتم يبسه في اليوم الثالث، ويقلع كما تقلع قشرة القرحة إذا تمَّ يبسها، جربنا من ذلك مالا نحصيه، وكانت هذه المرأة ترقي أحد دملين قد دفعا على إنسان واحد، ولا ترقي الثاني، فيبس الذي رقت، ويتم ظهور الذي لم ترق، ويلقى منه حامله الأذى الشديد، وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير، فيندمل ما يفتح منها، ويذبل مالم ينفتح، ويبرأ»[1].

والرقى كما يقول القرافي ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يحدث ضررا، بل ذلك يقال له السحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/٢

ماهو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم، وربما كان كفرا، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى بالعجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم»[1].

وقال ابن تيمية: «نهى علماء الإسلام عن الرقى التي لا يفقه معناها، لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي: «قال: كنا نرقي في الجاهلية. فقلنا: يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك».

وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنه كان عندنا رقية نرقى بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»[2].

ويستخلص من كلام أهل العلم أنَّ الرقى تكون مشروعة إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن لا يكون فيها شرك ولا معصية، كدعاء غير الله، والإقسام على الله بغير الله.

الثاني: أن تكون بالعربية أو ما يفقه معناه.

الثالث: أن لا يعتقد كونها مؤثرة بنفسها.

قال شارح الطحاوية: «واتفقوا على أنَّ كلَّ رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجنُّ أو غيرهم»، وكذلك كلُّ كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به،

---

(١) الفروق: ١٤٧/٤

(٢) إيضاح الدلالة: انظر مجموعة الرسائل المنيرية: ١٠٣/٢

لإمكان أن يكون فيه شرك ولا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ «لا بأس بالرقى مالم تكن شركا»[1].

وأنفع أنواع الرقى ما كان بالقرآن الكريم، وفي هذا يقول الشيخ بدر الدين بن عبدالله الشبلي: «وفي التطبب والاستشفاء بكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ غنى تام، ومقنع عام، وهو النور والشفاء لما في الصدور، والوفاء الدافع لكلِّ محذور، والرحمة للمؤمنين وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبر آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكلِّ دواء موافٍ، سوى الموت الذي هو غاية كلِّ حي، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2] وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية، ولكن لا يعقلها إلا العالمون، لأنها تذكرة، وتعيها أذن واعية، والله الهادي للحق»[3].

وأحب أن أنبه هنا إلى أنَّ الرقى ليست مقصورة على إنسان بعينه، فإنَّ المسلم يمكنه أن يرقي نفسه، ويمكن أن يرقي غيره، وأن يرقيه غيره، ويمكن للرجل أن يرقى امرأته، ويمكن للمرأة أن ترقي زوجها، ولاشك أنَّ صلاح الإنسان له أثر في النفع، وكلما كان أكثر صلاحا كان أكثر نفعا، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4].

ولا صحة لما يدعيه بعض الذين يلجأ إليهم الناس من أنَّ لهم خصوصية في نفع رقاهم لأخذهم العهد على شيخ أو صاحب طريقة، فإنَّ هذا لا أصل

---

(١) شرح الطحاوية: ص ٥٧٠، والحديث أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي.
(٢) سورة الأنعام: ٣٨.
(٣) غرائب وعجائب الجن: ص ١٣١
(٤) سورة المائدة: ٢٧.

له، وهو من الضلال، فالرقية دعاء والتجاء إلى الله، والله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾[1].

وقراءة القرآن والأذكار المأثورة لها خاصية في النفع من السحر ممن قرأ بها إذا كان صالحا موقنا بنفعها.

٢ ـ استخراج السحر وإبطاله:

ومن طرق علاج السحر استخراج السحر وإبطاله، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «رُوِيَ عن الرسول ﷺ في علاج السحر نوعان: أحدهما: وهو أبلغهما استخراجه، وتبطيله، كما صحَّ عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فَدُلَّ عليه فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به، حتى كأنما نشط من عقال، فهذا أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ»[2].

٣ ـ استعمال الأدوية المباحة:

ويمكن اتقاء السحر قبل وقوعه، وحله بعد وقوعه بتناول بعض الأدوية واستعمال بعض الجراحات التي يعرفها الأطباء وأهل العلم. فمن ذلك أن يتناول المرء في صبيحة كلِّ يوم سبع تمرات عجوة، ففي صحيح البخاري عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من اصطبح[3] كلَّ يوم تمرات عجوة لم يضره سمٌّ ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل).

---

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) أعلام الموقعين: ٣/١٠٤.

(٣) اصتبح: تناول الشراب صباحا، ثم استعمل في الأكل.

وفي رواية: (من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر)[1].

وقد ورد في بعض الأحاديث تقييد التمر بتمر المدينة، أو بعالية المدينة، والعالية اسم موضع بالمدينة.

وقال ابن حجر في فتح الباري: «أخرج عبدالرزاق من طريق الشعبي قال: لا بأس بالنشرة العربية التي إذا وطئت لا تضرّه، وهي أن يَخْرج الإنسان في موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كلّ ثم يدقه، ويقرأ فيه، ثم يغتسل به».

أي يأخذ من النبات وورق الأشجار الذي يجده في البقعة التي هو فيها.

وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسيات، ثمَّ يغتسل به، فإنه يذهب عنه كلّ ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[2].

ويقول ابن حجر أيضاً: «ووقفت على صفة النشرة في كتاب الطب النبوي لجعفر المستغفري، قال: وجدت في خط نصوح بن واصل، أنَّ حماد بن شاكر عَلَّمه أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله، وأطاق ما سواها، فإن المبتلي بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأساً ذا قطارين، ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة، حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النار، وبال على حرّه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب المداواة بالعجوة للسحر، فتح الباري: (٢٣٨/١٠).
(٢) فتح الباري: ٢٣٣/١٠.

وتكلم على طريقه حلّ السحر فقال: «وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين، ثمَّ يلقيها في إناء نظيف، ويجعل فيها ماء عذبا، ثمَّ يغلي ذلك الورد في الماء غليا يسيرا، ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى»[1].

٤ ـ التداوي بالحجامة والجراحة:

ومن هذا الباب ما ذكره ابن القيم في (زاد المعاد)، وهو معالجة السحر بالحجامة، وهو نوع من أنواع التداوي، يقول ابن القيم في هذا:

«والنوع الثاني: الاستفراغ في المحلّ الذي يصل إليه أذى السحر، فإنَّ للسحر تأثيرا في الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جداً، وقد ذكر أبو عبيد في كتاب (غريب الحديث) له بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنَّ النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب. قال أبو عبيد معنى طب: أي سحر.

وقد أشكل هذا على من قلَّ علمه، وقال ما للحجامة والسحر، وما للرابطة بين هذا الداء وهذاالدواء؟ ولو وجد هذا القائل أبقراط أو ابن سينا أو غيرهما قد نصّ على هذا العلاج لتلقاه بالقبول والتسليم. وقال قد نَصَّ عليه من لا نشك في معرفته وفضله.

فاعلم أن مادة السحر الذي أصيب به ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قواه التي فيه بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية.

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٣٤.

والسحر هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها وهو سحر التمريخات، وهو أشدُّ ما يكون من السحر، ولاسيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه، واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة إذا استعملت على القانون الذي ينبغي.

قال أبقراط: الأشياء التي ينبغي أن تستفرغ يجب أن تستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل بالأشياء التي تصلح لاستفراغها.

وقالت طائفة من الناس: إنَّ رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء وكان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله ظنَّ أنَّ ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له، وكان استعمال الحجامة إذ ذاك من أبلغ الأدوية وأنفع المعالجة فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أنَّ ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سحر عدل إلى العلاج الحقيقي»[1].

المطلب الرابع
الآيات والأدعية النافعة التي تقي من السحر وتزيله بعد الإصابة به

القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. وكذلك ذكر الله والرقى والأدعية التي يلجأ فيها إلى الله ويتوجه بها إليه كلُّها شافية كافية - إن شاء الله - إن خرجت من قلب موقن بالإجابة صادق التوجه.

---

(١) أعلام الموقعين: ٣/١٠٤.

وسنذكر في هذا المبحث بعض ما اطلعنا عليه مما نصَّ عليه القرآن والأحاديث الصحيحة أو أرشد إليه علماؤنا الأخيار.

١ ـ **الاستعاذة من الشيطان**، والاحتماء بالله العظيم من هذا العدو اللعين ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٢].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: (إن أباكما كان يعوذ إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة، مِن كلِّ شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة)»[٣].

٢ ـ **التسمية**، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان جنح الليل[٤]، أو أمسيتم ـ فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حنيئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا[٥] آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصحابيحكم)[٦].

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٩٨.

(٣) صحيح البخاري. كتاب الأنبياء، فتح الباري: ٤٠٨/٦.
والهامّة: واحدة الهوام ذوات السموم كالأفاعي والعقارب. (واللامة) كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون أو خبل. راجع: فتح الباري: ٤١٠/٦.

(٤) جنح الليل: إقباله بعد غروب الشمس.

(٥) خمروا الآنية: أي غطوها.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء. فتح الباري: ٨٨/١٠.

٣ ــ قراءة: قل هو الله أحد، والمعوذتين في الصباح والمساء. روى الترمذي في سننه عن معاذ بن عبدالله بن خبيب عن أبيه قال: «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: (قل. فلم أقل شيئا. ثم قال: قل. فلم أقل شيئا. قال: قل. قلت: ما أقول. قال: قل (هو الله أحد) والمعوذتين، حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء)».[1]

وقال صديق حسن خان: «وللمعوذتين أثر عظيم في إزالة السحر، فمن دوام على قراءتهما في الأيام والليالي لا يضره السحر بإذن الله تعالى، وإذا قرأهما المسحور زال أثره إن شاء الله تعالى».[2]

وفي حديث عائشة قالت: (إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث) الحديث، أخرجه مالك في الموطأ، وهو في الصحيحين من طريقه.

٤ ــ قراءة سورة البقرة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)[3].

٥ ــ قراءة آية الكرسي، فقد قال شيطان لأبي هريرة في قصة رواها البخاري في صحيحه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) سنن الترمذي: ٥/٥٦٨.
(٢) الدين الخالص: ٢/٣٢٠.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١/٥٣٩. ورقم الحديث: ٧٨٠.

هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية. فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح».

فقال الرسول ﷺ لأبي هريرة لما حدثه بما قاله الشيطان: «أمَّا إنه صدقك وهو كذوب»[1].

وآية الكرسي هي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

٧ ــ القراءة بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[3].

والآيتان من آخر سورة البقرة هما ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل. فتح الباري: (٤٨٧/٤).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة. فتح الباري: ٥٥/٩.

وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

ومعنى قوله ﷺ كفتاة أي كفتاة من الشيطان، ففي حديث النعمان بن بشير يرفعه: «إنَّ الله كتب كتابا، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار فيقر بها الشيطان ثلاث ليال» أخرجه الحاكم وصححه. وفي معنى «كفتاة» أقوال أخرى[2].

٨ ــ قول «لا إلا إله الله» في اليوم مائة مرة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كلِّ يوم مائة مرة، كانت له عِدْلُ عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[3].

٩ ــ الآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4]. ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾[5] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.
(٢) فتح الباري: ٥٦/٩.
(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده. فتح الباري: ٣٣٨/٦. ورواه مسلم: ٢٠٧١/٤. ورقم الحديث ٢٦٩١.
(٤) سورة الأعراف: ١١٨.
(٥) سورة الأعراف: ١١٩.
(٦) سورة يس: ٨١.
(٧) سورة طه: ٦٩.

١٠ ـ الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كحديث (ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ). رواه أبو داود، وكحديث عثمان بن أبي العاص قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ (امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شرِّ ما أجد). قال ففعلت فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم، قال الترمذيُّ هذا حديث حسن صحيح. وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجلّ.

وفي الختام نقول كما قال صديق حسن خان: «إنَّ كلَّ عمل ودعاء ينشر المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء يصدق أنه نشره، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي، وإلا كان حراما أو شركا»[1].

---

(١) الدين الخالص: ٢/٣٤٣.

الفصل العاشر

حكم السحر والسحرة

المبحث الأول

حكم تعلم السحر وتعليمه

سبق أنْ بينا أنَّ السحر لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والعبودية لها بالقول والفعل وتناول المحرمات والخبائث ونحو ذلك، وهذا كلُّه كفر وشرك، لا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يأتيه، والأدلة على كفر الساحر كثيرة.

الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[1] ووجه الاستدلال بالآية أنها رتبت الحكم وهو الكفر على الوصف المناسب وهو السحر، وهذا مشعر بأنَّ العلة في الكفر هو السحر.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[2].

ودلالة الآية على المطلوب من وجوه:

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

١ ــ التصريح بأنّ تعلمه كفر (فلا تكفر) يقول صديق حسن خان: «الآية دليل على أنّ تعلم السحر كفر، وظاهره عدم التفريق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلمه ليكون ساحرا، ومن تعلمه ليقدر على دفعه»[١].

٢ ــ أنّ السحر لا نفع فيه، وما كان ضارا لا نفع فيه لا يبيحه الله لعباده.

٣ ــ التنصيص على أنّ مَنْ ﴿ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[٢] والخلاق النصيب، والذي لا نصيب له في الآخرة هو الكافر.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٣] ووجه الدلالة في الآية أنّ النفي في الآية يعم جميع أنواع الفلاح، وقد أكّد ذلك التعميم في الأمكنة (حيث أتى) وهذا دليل على كفره، لأنّ الفلاح لا ينفى بالكلية نفيا عامّا إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر.

وقد علم باستقراء القرآن أنّ الغالب فيه أنّ لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر[٤] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[٥] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٦].

وقد جاءت نصوص كثيرة تذمّ من يأتي الكهان والعرافين وتحكم على من صدقهم بالكفر. وسنذكرها في مبحث أدعياء الغيب.

---

(١) نيل المرام لصديق حسن خان: ص ٢١.
(٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) سورة طه: ٦٩.
(٤) راجع أضواء البيان: ٤/٤٧٨.
(٥) سورة يونس: ٦٩.
(٦) سورة يونس: ١٧.

والسحر المجازي وإن لم يبلغ مبلغ الكفر إلا أنه حرام لما فيه من إفساد عقائد العامة، فإنَّ العامي إذا شاهد ما يفعله الساحر من أمور غريبة لا يعرف سببها ربما اعتقد في الساحر شيئا من صفات الربوبية، فيهلك بذلك.

يقول ابن خلدون: «لم تفرق الشريعة بين السحر الطلّسمات والشعبذة وجعلته كله بابا واحدا محظوراً، لأنَّ الأفعال إنما أباح الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا ضرره بالوقوع، ويلحق بها الطلّسمات، لأنَّ أثرهما واحد، كالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله.. فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالتحريم»[1].

يقول ابن حجر في بيان حكم تعلم السحر: «وقد استدلَّ بهذه الآية[2] على أنَّ السحر كفر ومتعلمه كافر. وهو واضح في بعض أنواعه وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأمّا النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة، فلا يكفر به أصلا».

قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبيُّ ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا، ومنه ما لا يكون كفرا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأمّا تعلمه وتعليمه فحرام[3].

وقال ابن قدامة مبينا حكم تعلمه: «تعلّم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم».

---

(١) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٤.

(٢) الآية المشار إليها آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) فتح الباري: ١٠/٢٢٤.

قال أصحابنا: يكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، وروي عن أحمد ما يدلُّ على أنه لا يكفر، فإن حنبلا روى عنه قال: قال عمي في العراف والكاهن والساحر: أرى أن يستتاب من هذه الأفاعيل كلِّها، فإنه عندي في معنى المرتد، فإن تاب وراجع - يعني - يخلى سبيله، قلت له: يقتل؟ قال: لا، يحبس، لعله يرجع».

وقال الذهبي: «الكبيرة الثالثة في السحر، لأنَّ الساحر لابدّ وأن يكفر قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1] وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[2] أي من نصيب.

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر، فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها، وهي محض السحر، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال»[3].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة: ٢.
(٣) الكبائر للذهبي: ١٤.

ويقول ابن العربي: «من السحر ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه، ويسمى التولة وكلاهما كفر»[1].

الذين قالوا بوجوب تعليم السحر أو استحبابه ومشروعيته:

وشذَّ بعض من ينسب إلى العلم، فقالوا بوجوب تعلمه أو استحبابه أو مشروعيته، فمن هؤلاء الرازي فإنه زعم أن تعلمه واجب، وقد نقل الحافظ بن كثير كلام الرازي بنصه في تفسيره فقال: «العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك، لأنَّ العلم لذاته شريف، وأيضا لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]. ولأنَّ السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا، وما يكون واجبا، فكيف يكون حراما وقبيحا؟»[3].

وادعى بعض العلماء أنَّ تعلم السحر فرض لرد ساحر الحرب، ومباح أو مستحب لتحبب المرأة إلى زوجها، أو للتفريق بين المجتمعين على شرّ، يقول ابن عابدين: «وفي (ذخيرة الناظر) تعلم السحر فرض لساحر أهل الحرب، وحرام ليفرق به بين المرأة وزوجها، وجائز ليوفق بينهما»[4].

وقال القرافي: قال بعض العلماء إن كان تعلم السحر ليفرق به بينه وبين المعجزات كان ذلك قربة، وكذلك نقول إنَّ عمل السحر بأمر مباح ليفرق به

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي: ٣١/١.
(٢) سورة الزمر: ٩.
(٣) قصة السحر: ص ٥٠.
(٤) الفروق: ١٥٧/٤.

بين المجتمعين على الزنا أو قطع الطريق بالبغضاء والشحناء أن يفعل ذلك بجيش الكفر، فيقتلون به ملكهم فهذا كلُّه قربة، أو يصنعه محبة بين الزوجين أو الملك مع جيش الإسلام»[1].

وذكر ابن حجر أنَّ بعض العلماء أجاز تعلم السحر لأمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع به[2].

وذكر ابن جرير والألوسي أنَّ بعضهم استدلَّ على جواز تعلمه بأنَّ هاروت وماروت وهما ملكان قد كانا يعلمانه بإذن من الله[3].

ويمكننا أن نلخص حجج الذين ذهبوا هذا المذهب في النقاط التالية:

١ ـ تَعَلُّم السحر ليس قبيحا.

٢ ـ تَعَلُّم السحر ليس محذورا.

٣ ـ تَعَلُّم العلم محمود وممدوح.

٤ ـ الحاجة إلى تَعَلُّم السحر للتفريق بينه وبين المعجزة والسحر، وللتفريق به بين أهل الشرِّ والفساد، ولدفع ساحر أهل الحرب، ولتحبيب المرأة إلى زوجها.

٥ ـ الاستدلال بإجازة تعليم الملائكة السحر.

والردُّ على أهل هذا المذهب من وجوه:

الأول: زعم أنَّ تعلم السحر ليس قبيحا، إن أراد به ليس قبيحا عقلا فإنَّ المعتزلة يخالفونه في هذا، ويرون قبح ذلك. وإن ادعى أنه ليس قبيحا شرعا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري: ١٠/٢٣٤.

(٣) تفسير ابن جرير: ١/٤٥٥. روح المعاني: ١/٣٤٣.

ففي الآية ردٌّ عليه، لأنها ذمت الذين يتعلمون السحر، ونصَّت على أنَّ تعلمه كفر.

الثاني: دعواه بأنَّ تعلم السحر غير محظور، وأنَّ المحققين اتفقوا على ذلك، غير صحيح، فإن الآيات والأحاديث دالة على ذمِّ متعلمه، وعلماؤنا الأعلام صرحوا بحرمة تعلمه، وكثير منهم كفَّروا متعلمه وحكموا بقتله كما بيناه، ثمَّ إنه لم يورد لنا أسماء هؤلاء المحققين الذين قالوا بذلك.

الثالث: استدلاله بالآية استدلال في غير محله، لأنَّ الممدوح في الآية هو العلم بالشريعة لا مطلق العلم، أو هو العلم الذي تبيحه الشريعة.

الرابع: زعمه توقف العلم بالمعجز على تعلم السحر غير صحيح، فأعظم معجزات نبينا محمد ﷺ هو القرآن الكريم، ومن المعلوم قطعا عدم توقف العلم بكونه معجزا على تعلم السحر، وقد كان سلفنا من الصحابة والتابعين والأئمة يعلِّمون المعجز من غير تعلم للسحر[1].

الخامس: أصبح معلوما أنه يترتب على السحر كثير من المفاسد، وعلى ذلك فإنَّه يجب تحريمه من باب سدّ الذرائع، وفي الحديث: «من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه».

وها نحن اليوم على الرغم من التقدم العلمي نرى كيف أنَّ السحر يزلزل عقائد العوام، ويسبب الشكوك لكثير من الناس، يقول النووي رحمه الله تعالى: «تعلم السحر حرام على المذهب الصحيح، وبه قطع الجمهور، ومثله الفلسفة والشعبذة والتنجيم وعلوم الطبائعيين، وكلُّ ما كان سببا للإثارة»[2].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير: ١/٢٥٣

(٢) المجموع: ١/٢٧

السادس: تعلم السحر الذي حكم الله على صاحبه بالكفر لا يكون إلا بتولي الشيطان، ولا يكون إلا بمباشرته، مثل الذي يتعلم الزمر وضرب العود لا يستطيع تعلم ذلك بغير المباشرة[1].

السابع: لا يتأتى هذا التعلم إلا بالكفر بالله والشرك به، كقيام الساحر لبرج الأسد إذا أراد أن يسحر سلطانا، وينادي الساحرُ قائلا خاضعا متقربا له: يا سيداه يا عظيماه، أنت الذي إليك تدين الملوك والجبابرة والأسود، أسألك أن تذلل لي قلب فلان الجبار[2].

وقد أدرك كثير من العلماء هذا المعنى، أعني أنَّ السحر لا يتأتى إلا بالشرك، منهم ابن العربي، وقد قال في هذا: «إنَّ حقيقة السحر كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات»[3].

وقال القرطبي: «وقال بعض العلماء: قال أهل الصناعة: إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار، أو تعظيم الشيطان، فالسحر إذن دالٌّ على الكفر على هذا التقدير»[4].

وقال الشيخ حافظ حكمي: «وقد علم أنَّ السحر لا يعمل إلا مع كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية»[5].

وقال الشيخ سليمان شارح (كتاب التوحيد): «لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدونه أدخله المصنف في (كتاب التوحيد) ليبين ذلك

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٣٤.
(٢) الفروق للقرافي: ٤/١٥٣
(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ١/٣١
(٤) تفسير القرطبي: ٢/٤٨.
(٥) معارج القبول: ١/٥١٢

تحذيرا منه، كما ذكر غيره من أنواع الشرك»[1].

وقال ابن عابدين: «ولعلَّ ما نقله عن الأصحاب (أي القول بكفر الساحر) مبني على أنَّ السحر لا يتمُّ إلا بما هو كفر كما يفيده قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[2].

وقد سبق أن فصلنا القول في علاقة الشيطان بالسحر والسحرة، وأنه لا يتم للساحر إلا بالكفر والشرك.

الثامن: ليس لأحد أن يبيح ما صرَّح الله بتحريمه ومَنْعِه وَحَكم على متعلمه بالكفر، وَحَكم بأنه لا يضر ولا ينفع.

التاسع: دعوى من ادعى أنَّ السحر ينفع، وأن متعلمه يدفع به الشر دعوى مناقضة لما قرره الله في كتابه في قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[3].

إنَّ الساحر لا يتمُّ سحره إلا بالاستعانة بالشيطان، فأنَّى يدفع الشيطان عن أولياء الرحمن!! وكيف يؤذي الشيطان الذين يجتمعون على الشرور وهم أولياؤه!! إنَّ الذين يزعمون أنهم يريدون تعلم السحر ليدفعوا به الشر، ويفعلوا به الخير لا يعلمون حقيقة السحر.

العاشر: أما استدلال من استدل على جواز تعلمه بتعليم الملائكة له، فإنه استدلال ضعيف، وقد بين ابن جرير وجه ضعفه والرد عليه فقال:

---

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٣٣

(٢) سورة البقرة: ١٠٢

(٣) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٤

«فإن التبس على ذي غباء ما قلنا، فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له: إنَّ الله جلَّ ثناؤه عرف جميع عباده ما أمرهم به، وجميع ما نهاهم عنه، ثمَّ أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم.

فالسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جلَّ ثناؤه علَّمه الملكين الذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن تعلم منهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك مطيعين.. وغير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه»[2]

حكم سحر النجوم

الذي يعتقد أنَّ النجوم لها تأثير على الأشخاص في أرزاقهم وأعمارهم وسعادتهم وشقاوتهم وانتصاراتهم وهزائمهم فإنَّه كافر لا شك في كفره، فإذا زاد على هذا بأن قصد هذه النجوم واستعان بها و استغاث بها من دون الله فقد ازداد إلى الكفر كفرا، وإلى الضلال ضلالا.

وقد بين الرسول ﷺ فساد هذا ووصفه بالكفر، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن زيد بن خالد الجهني قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢

(٢) تفسير ابن جرير: ١/٤٥٥

بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأمّا من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[1].

وهل الكفر الذي نصَّ عليه الحديث سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام؟ الجواب: أنَّ هذا الكفر سالب لأصل الإيمان مخرج من الملة إذا كان الإنسان معتقدا أنَّ الكوكب فاعل مدبر منشىء للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعمون، ومن قال هذا فلا شك في كفره كما يقول النووي، وهو مذهب جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث.

فإن قال مطرنا بنوء كذا معتقدا أنَّ المطر من الله وبرحمته وأنَّ النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا وكذا لا يكفر، واختلف العلماء في كراهة هذا القول، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها، ولأنَّها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ الكفر الذي حكم به على قائل هذا القول كفر نعمة الله لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكواكب، وينبغي أن يقيد هذا القول بقيد عدم الاعتقاد بالكواكب وأنها المدبرة المنشئة للمطر، ويؤيد هذا القول ما جاء في بعض روايات الحديث عند

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستسقاء. باب قوله تعالى ﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ فتح الباري: ٢/٥٢٢. ورواه مسلم: ١/٨٢. ورقم الحديث: ٧١. وللحديث عند مسلم عدة روايات عن عدة من الصحابة. فراجعه إن شئت.

مسلم: «أصبح من الناس شاكر وكافر». وفي الرواية الأخرى: «ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين». وفي الرواية الثالثة: «ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين». فقوله: «بها» يدلُّ على أنه كفر نعمة[1].

(١) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم: ٦١/٢

المبحث الثاني

عقوبة الساحر

المطلب الأول

عقوبة الساحر عند غير المسلمين

بذلت كثير من الدول في الممالك الغربية قصارى جهدها للخلاص من السحرة، ففرضت عليهم أقسى وأشد العقوبات التي أخفها الشنق، ونالتهم بالتعذيب والتنكيل والتشهير ومصادرة الأموال وإنزال العقوبات بهم وبذريتهم. فكانت كلٌ من فرنسا وألمانيا وإيطاليا تحكم على السحرة بالإعدام حرقا. وفي اسكتلندا كانوا يعاقبونهم بإلقائهم في إناء حديدي كبير مملوء بالقار المغلي، وكانت انجلترا وبعض دول أوروبا تعدمهم شنقا أمام الجمهور. وكان عقاب الساحر أو الساحرة في أمريكا الإعدام شنقا في أقرب شجرة بالطريق.

وقد استعمل بعض الممالك طريقة (الخازوق) في إعدام السحرة. كما عاقبتهم دول كثيرة بطريقة (التشبيح). وطريقتهم في ذلك أنها كانوا يأتون بالساحر ويمددونه على مائدة كبيرة غليظة مقسمة إلى أربعة أقسام مفصول بعضها عن بعض. ويفردون ذراعيه إلى أعلى بحيث يقيدون الذراع الأيمن في ركن المائدة الأعلى الأيمن، والذراع الأيسر في ركنها الأيسر، والقدم اليمنى في الركن الأسفل الأيمن، ومثلها القدم اليسرى، ومركب بوسط هذه المائدة عجلة مصنوعة ومتصلة بالمائدة بطريقة مخصوصة، حتى إذا ما دارت العجلة انفصلت إلى أربعة أجزاء، وتحرك كل جزء منها في اتجاه مضاد للآخر، فيتحرك الذراع الأيمن إلى الشمال الغربي، والذراع الأيسر إلى الشمال الشرقي، والقدم الأيمن إلى الجنوب الغربي، والأيسر إلى الجنوب الشرقي.. وبهذا تتفكك أوصال وعضلات ومفاصل

الساحر، وتسبب له من الآلام الفظيعة المبرحة مالا تقوى عليه الأبالسة، وتتسبب في نهاية أجله بعد بضعة دقائق، ثم تؤخذ جثته وتحرق، ويبعثر رمادها في الشوارع.

ولكنَّ أبشع وأقسى طريقة اتبعت لعقاب الساحر هي التي كانت تطبقها محاكم التفتيش بأسبانيا، فقد أعدَّت هذه المحاكم فرقا مخصوصة مزودة بكافة آلات ومعدات التعذيب التي تخطر على بال البشر، وأطلقوا عليها (غرف التعذيب أو الاعتراف). فعند القبض على الساحر واعترافه مبدئيا بمزاولته السحر يؤخذ من الدار للنار...، ويدخل غرفة التعذيب حيث تجرى عليه العقوبات التالية.. يعلقونه من ساقيه بعد ربط يديه إلى جانبيه في عجلة كبيرة بحيث تكون رأسه إلى أسفل، ثم تدور هذه العجلة جملة دورات عنيفة، حتى إذا ما دارت وجعلته في الوضع الصحيح - أعني انقلب وضعه وصارت رأسه فوق ورجليه تحت - يبدأون في تقليع أظافر رجليه واحدا واحدا، حتى إذا ما انتهوا من الأمر أداروا العجلة ووضعوه في الوضع المقلوب الأول، ثم يبدأون في تقليع أظافر يديه واحدا بعد الآخر..، ثم تدور العجلة وتضعه في وضع أفقي ويختارون من جسده الجهات الممتلئة باللحم والشحم كالكتفين أو الفخذين أو الساقين .. إلخ ويشقون فيها طرقا طويلة أو قصيرة حسب ما يتراءى لهم يصبون فيها الزيت أو القار المغلي، ثم يضعونه في الوضع المقلوب الأول ويفقأون عينيه بمسامير كبيرة محماة وينهون هذا العذاب أخيرا بحرقه.

ونظرا لهذا العذاب الأليم كانت لا تقرر المحاكم في أسبانيا مجازاة الساحر إلا بعد اعترافه الصريح بمزاولة السحر بناء على اتفاق أو عقد أبرمه مع الشيطان، وعلى الساحر أن يقرر هذا كتابة، ويبين في إقراره متى وأين عقد اتفاقه، وما هي نصوص الاتفاق ومدته، وعلى أية صورة كان يظهر له الشيطان،

وما المواد التي كان يستعملها في سحره ومن يحضرها له؟ ولمن كان يسحر؟ ولصالح من؟ ولضرر من؟ وغير ذلك من الأسئلة التي لا تجعل محلا للشك في نوايا الساحر.

ورغم العقوبات وأنواع التعذيب التي فرضتها الحكومات الأجنبية على السحرة والساحرات إلا أنَّ كلَّ هذا لم يكن كافياً لشلِّ حركتهم أو شوكتهم أو تخويفهم أو استئصال بذور الشر من نفوسهم، وكانوا يعتقدون أنهم ببيعهم روحهم للشيطان لم يبق هناك روح لإزهاقها بمعرفة الحكومة بواسطة الشنق أو الحرق وغيرها من طرق الإعدام..

ولكن كان هناك نفر من السحرة المثقفين أو المتنورين كأرباب الأعمال أو المال أو الأساتذة كانوا خوفا من الجزاء الصارم يسترون سحرهم بحجج باطلة واهية إذ كانوا يدَّعون أن سحرهم موجه للأعمال الخيرية والإفادة، مثل شفاء المرضى أو الإصلاح بين العائلات أو الأزواج أو الكشف عن أسرار الكنوز والعلوم المخبأة التي تنفع المدنية ويستفيد منها الناس، ولذا كانوا يطلقون على عملهم هذا السحر الأبيض (White magic) تفرقة له من السحر الأسود (Black-magic) المقصود بها الضرر..

ولكن كل هذه الادعاءات وكلُّ هذه الحيل لم تأخذ بها الحكومات ولم يقرها القانون، وقضوا على كلِّ من يعمل في السحر الأبيض أو الأسود أو الأحمر بالإعدام، لأنَّ السحر في كل حالاته لا يخرج عن كونه سحراً ولأنَّ الأساس في نجاحه الاستناد إلى قوى غير طبيعية، ولأن الساحر الذي يعمله يهب لنفسه القوة للتغلب على النواميس الطبيعية، ونظمها، ويدعي سلطته على عقول وقلوب ونفوس البشر»[1].

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ٢٨ ـ ٣٠

«ومن أنواع العقوبات التي كانت توقع على الساحرات أنَّ الساحرة المدانة بالعقوبة كانت تؤخذ إلى غرفة التعذيب حيث ينزع أو ينتف المكلفون بعذابها كلَّ شعرة في جسدها على حدة بواسطة مقابض صغيرة محماة الأمر الذي يفوق طاقة البشر، وأية ساحرة مهما بلغت بها الدرجة من التبجح والإصرار والمكابرة والصبر فإنها كانت بمجرد أن تنتف من جسدها بضع شعرات تصرخ وتستغيث من شدة الألم، وتعترف بما عملت، ومالم تعمل، وتكيل لنفسها التهم جزافا، حتى ترحم من عملية النتف المذكورة ويتمُّ حرقها في الحال.. ولكن إمعانا في تعذيبها كان المكلفون بأمرها يطبقون قانون التعذيب عليها حرفيا، ولا يعتقونها إلا بعد إزالة كلِّ شعرة من جسدها بواسطة النتف، وتكون الساحرة خلال هذه العملية قاست من الآلام الفظيعة والأوجاع المرعبة ما يجعلها في شبه غيبوبة، ثم تؤخذ للحريق»[1]

المطلب الثاني
عقوبة الساحر في الإسلام

مذاهب العلماء في عقوبة الساحر:

١ ــ قال أبو بكر الرازي مبينا مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى في عقوبة الساحر: «روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال في الساحر يقتل إذا علم أنَّه ساحر ولا يستتاب، ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه، فإذا أقرَّ أنه ساحر فقد حلَّ دمه، وإن شهد عليه شاهدان أنَّه ساحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنه سحر قتل، ولا يستتاب، وإن أقر فقال: كنت أسحر وتركت هذا منذ زمان قبل منه، ولم يقتل، وكذلك لو شهد عليه أنه كان

---

(١) السحر: ص ٣٠

مرة ساحرا، وأنه ترك منذ زمان لم يقتل، إلا أنَّ يشهدوا أنه الساعة ساحر وأقر به فيقتل.

وكذلك العبد المسلم والذميُّ الحرُّ من أقرَّ منهم أنه ساحر فقد حلّ دمه، فيقتل، ولا يقبل منه توبته، وكذلك لو شهد على عبد أو ذمي أنه ساحر، ووصفوا ذلك بصفة يعلم أنه سحر لم يقبل توبته ويقتل، وإن أقرَّ العبد أو الذمي أنه كان ساحرا، وترك ذلك منذ زمان قبل ذلك منه، وكذلك لو شهدوا عليه أنه كان ساحرا، ولم يشهدوا أنه الساعة ساحر لم يقتل، وأمّا المرأة فإذا شهدوا عليها أنها ساحرة أو أقرت بذلك لم تقتل وحبست وضربت حتى يستيقن لهم تركها للسحر، وكذلك الأَمَةُ والذمية إذا شهدوا أنها ساحرة أو أقرت بذلك لم تقتل، حتى يعلم منها ترك ذلك كله، وهذا كله قول أبي حنيفة»[1].

ونقل أبو بكر الرازي عن محمد بن شجاع أنه سأل أبايوسف عن قول أبي حنيفة في الساحر: يقتل ولا يستتاب، لِمَ لَمْ يكن ذلك بمنزلة المرتد؟ فقال: الساحر جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد، والساعي بالفساد إذا قَتَلَ قُتِلَ»[2].

وهذا الذي نقله أبو بكر عن الإمام أبي حنيفة هو مذهب الحنفية، فالمعتمد عندهم أنَّ الساحر يكفر بتعلم السحر وفعله سواء اعتقد الحرمة أو لا. وذهب صاحب (فتح القدير) من الحنفية إلى أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد مكفرا، وبه جزم في النهر، وتبعه الشارح، ولكنهم اتفقوا على أنه يقتل مطلقا إن عرف تعاطيه له[3].

---

(١) أحكام القرآن: ١/ ٥٠.
(٢) أحكام القرآن: ١/ ٥١.
(٣) حاشية ابن عابدين: ٤/ ٢٤٠.

قال ابن عابدين: «ولعل ما نقله صاحب (الفتح) عن الأصحاب مبني على أنَّ السحر لا يتم إلا بما هو كفر، وعلى هذا فغير المكفر لا يسمى سحرا، ويؤيده ما قدمناه عن (المختارات) من أنَّ المراد بالساحر غير المشعوذ، ولا صاحب الطلسم، ولا من يعتقد الإسلام، أي بأن لم يفعل أو يعتقد ما ينافي الإسلام»[1].

٢ ــ والإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ يرى أنَّ المسلم إذا سحر بكلام يكون كفرا يقتل، ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، قال الإمام مالك في موطئه: «الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[2] فأرى أن يقتل ذلك، إذا عمل ذلك بنفسه»[3].

قال القرافي: «قال الطرطوشي في تعليقه: قال مالك وأصحابه: الساحر كافر يقتل ولا يستتاب سحر مسلما أو ذميا كالزنديق. قال محمد: إن أظهره قبلت توبته. قال أصبغ: إن أظهره ولم يتب فقتل فماله لبيت مال المسلمين، وإن استتر فلورثته من المسلمين، ولا آمرهم بالصلاة عليه، فإن فعلوا فهم أعلم.

قال ومن قول علمائنا القدماء: لا يقتل حتى يثبت أنه من السحر الذي وصفه الله ـ عزَّ وجل ـ بأنه كفر. قال أصبغ: يَكْشِفُ عن ذلك من يعرف حقيقته.

ولا يلي قتله إلا السلطان، فإن سحر المكاتب أو العبد سيده لم يل سيده قتله، بل الإمام.

---

(١) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٤.
(٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) موطأ الإمام مالك: ص ٥٤٣.

ولا يقتل الذمي إلا أن يضرَّ المسلم بسحره، فيكون نقضا لعهده فيقتل، ولا يقبل منه الإسلام، وإن سحر أهل ملته فيؤدب إلا أن يقتل أحداً فيقتل به. وقال سحنون: يقتل إلا أن يسلم كالساب، وهو خلاف قول مالك.

فإن ذهب لمن يعمل له سحرا، ولم يباشر أُدِّب أدبا شديدا، لأنه لم يكفر، وإنما ركن للكفرة، قال: وتعليمه عند مالك كفر»[1].

وقال القرطبي مبينا مذهب مالك في عقوبة الساحر إذا كان ذميا: وقال مالك في ساحر الذمة: «لا يقتل إلا أن يقتل بسحره ويضمن ماجني، ويقتل إن جاء منه ما لم يعاهد عليه. وقال ابن خويز منداد: إذا كان ذميا فقد اختلفت الرواية عن مالك؛ فقال مرة: يستتاب وتوبته الإسلام. وقال مرة: يقتل وإن أسلم. وأما الحربي فلا يقتل إذا تاب، وكذلك قال مالك في ذمي سبَّ النبي ﷺ: يستتاب وتوبته الإسلام. وقال مرة: يقتل ولا يستتاب كالمسلم.

وقال مالك أيضا في الذمي إذا سحر: يعاقب، إلا أن يكون قتل بسحره، أو أحدث حدثا فيؤخذ منه بقدره. وقال غيره: يقتل؛ لأنه قد نقض العهد. ولا يرث الساحر ورثته، لأنه كافر إلا أن يكون سحره لا يسمى كفرا. وقال مالك في المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها: تنكل ولا تقتل»[2].

٣ ــ وقد أجاد تقي الدين السبكي في فتاويه تلخيص مذهب الشافعي رحمه الله في هذه المسألة حيث يقول: «حاصل مذهب الشافعي أنَّ الساحر له ثلاثة أحوال: حال يقتل كافرا، وحال يقتل قصاصا، وحال لا يقتل أصلا، بل يعزز.

---

(١) الفروق للقرافي: ٤/١٥٢. وراجع في المسألة: الشرح الصغير على أقرب المسالك. ٤/٤٣٣. وتفسير القرطبي: ٢/٤٧، ٤٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/٤٩.

أما الحالة التي يقتل فيها كفرا فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ أن يعمل بسحره ما يبلغ الكفر، وشرح أصحابه ذلك بثلاثة أمثلة:

أحدها: أن يتكلم بكلام وهو كفر، ولاشك في أن ذلك موجب للقتل، ومتى تاب منه قبلت توبته، وسقط عنه القتل، وهو يثبت بالإقرار والبينة.

المثال الثاني: أن يعتقد ما اعتقده من التقريب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل بأنفسها، فيجب عليه أيضا القتل، كما حكاه ابن الصباغ، وتقبل توبته، ولا يثبت هذا القسم إلا بالإقرار.

المثال الثالث: أن يعتقد أنه حقٌّ يقدر به على قلب الأعيان، فيجب عليه القتل، كما قاله القاضي حسين والماوردي، ولا يثبت ذلك إلا بالإقرار، وإذا تاب قبلت توبته، وسقط عنه القتل.

وأمّا الحالة التي يقتل فيها قصاصا، فإذا اعترف أنه قتل بسحره إنساناً، فكما قاله إنه مات به، وإن سحره يقتل غالبا، فهاهنا يقتل قصاصا، ولا يثبت هذه الحالة إلا الاقرار، ولا يسقط القصاص بالتوبة».

وأما الحالة التي لا يقتل فيها أصلا، ولكن يعزر فهي ماعدا ذلك»[1].

وقال النووي: «يحرم فعل السحر بالإجماع، ومن اعتقد إباحته فهو كافر، وإذا قال إنسان تعلمت السحر أو أحسنه استوصف، فإن وصفه بما هو كفر فهو كافر، بأن يعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة. قال القفال: ولو قال: أفعل بالسحر بقدرتي دون قدرة الله تعالى فهو كافر. وإن وصفه بما ليس كفر فليس بكافر.

---

(١) نقله عن السبكي صاحب المجموع: ١٩/٢٤٥. وراجع في المسألة: الروضة للنووي: ٩/٣٤٥.

والقتل بالسحر لا يثبت، لأنَّ الشاهد لا يعلم قصد الساحر، ولا يشاهد تأثير الساحر، وإنما يثبت ذلك بإقرار الساحر، فإذا قال قتلته بسحري، وسحري يقتل غالبا فقد أقر بقتل العمد، وإن قال: وهو يقتل نادرا فهو إقرار بشبه العمد. وإن قال: أخطأت من اسم غيره إلى اسمه، فهو إقرار بالخطأ، ثم دية شبه العمد ودية الخطأ المخففة كلاهما من مال الساحر، ولا تطالب العاقلة بشيء إلا أن يصدقوه»[1].

٤ ــ وذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه إلى القول بكفر الساحر ووجوب قتله، وهذه هي الرواية المعتمدة في مذهب الحنابلة، يقول ابن قدامة: «تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم. قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته»[2].

ويقول ابن قدامة أيضا: «والساحر الذي يركب المكنسة وتسير به في الهواء ونحوه يكفر ويقتل، فأمّا السحر بالأدوية والتدخين وسقي شيء يضرُّ فلا يكفر، ولا يقتل، ولكن يعزز ويقتص منه إذا فعل ما يوجب القصاص، فأمّا الذي يعزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ولا يقتل»[3].

ونقل عن الإمام أحمد رواية أخرى أنه لا يكفر ولا يقتل، ولكنه يستتاب، وقد أخذ بهذه الرواية ابن عقيل من الحنابلة، وحمل ابن عقيل الرواية الأخرى التي وردت عن الإمام أحمد في كفر الساحر على كفره في معتقده، ولذا فإنَّ الحنابلة متفقون على القول بكفر الساحر إذا اعتقد حل السحر[4].

---

(١) روضة الطالبين للنووي: ٣٤٦/٩.

(٢) المغني: ١٥١/٨

(٣) المقنع لابن قدامة: ٥٢٣/٣. وانظر أيضا «المحرر» لمجد الدين ابن تيمية ١٦٩/٢٠.

(٤) راجع: المغني: ١٥١/٨. والانصاف للمرداوي: ٣٤٩/١٠.

والسحر الذي يكفر صاحبه ـ كما يقول ابن قدامه ـ هو الذي يعد في العرف سحرا، مثل فعل لبيد بن الأعصم حين سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة، فأما الذي يعزم على المصروع، ويزعم أنه يجمع الجن ويأمرها فتطيعه، فهذا لا يدخل في هذا الحكم ظاهرا، وذكره القاضي أبو الخطاب من الحنابلة في جملة السحرة[1].

وساحر أهل الكتاب عند الحنابلة لا يقتل لسحره إلا أن يقتل به، وهو مما يقتل به غالبا فيقتل قصاصا، واستدلوا على ذلك بعدم قتل الرسول ﷺ للبيد بن أعصم الذي سحره، ولأنَّ الشرك أعظم من سحره، ولا يقتل به، والأخبار وردت في ساحر المسلمين لأنه يكفر بسحره وهذا كافر أصلي[2].

ويمكننا أن نوجز مذاهب العلماء في هذه المسألة بما يأتي:

١ ــ وجوب قتل الساحر من غير استتابة. وهذا مذهب الأئمة: أبي حنيفة ومالك، ورواية عن الإمام أحمد، وهذه الرواية هي المذهب عند الحنابلة.

وعزا القرطبي هذا القول إلى جمهور أهل العلم، وقال به من الصحابة: عمر وعثمان وابن عمر وحفصه وأبو موسى الأشعري، وعزاه القرطبي أيضا إلى سبعة من التابعين، وقال به من فقهاء الأمصار: أبو ثور وإسحاق[3].

٢ ــ وجوب قتل الساحر كفرا إذا عمل بسحره ما يبلغ الكفر، فإن كان سحره بغير الكفر وقتل بسحره قتل به قصاصا، وفي غير هاتين الحالتين يعزر ولا يقتل. وهذا مذهب الإمام الشافعي، وهو قول للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

---

(١) المغني: ١٥٤/٨.

(٢) المغني: ١٥٧/٨. وانظر الانصاف: ٣٥٣/١٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٤٨/٢.

وقد ذهب هذا المذهب ابن المنذر، حكاه عنه القرطبي.

قال القرطبي: «نقل عن ابن المنذر أنه قال: «إذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبت عليه بينة، ووصفت البينة كلاما يكون كفرا.

وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سَحَرَ به ليس بكفر لم يجز قتله، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن عمد ذلك»[1].

٣ ــ أما ساحر أهل الكتاب فإنَّ الإمام أبي حنيفة يرى وجوب قتله ولم يفرق بينه وبين الساحر المسلم.

ومذهب الجمهور أنه يعاقب ولا يقتل إلا إذا قتل بسحره فيقتل، أو أحدث حدثا فيؤاخذ به. وقال الإمام مالك: إن أدخل بسحره ضررا على مسلم نقض عهده بذلك[2].

٤ ــ ومذهب أبي حنيفة عدم قتل الساحرة مسلمة كانت أو ذمية، وتحبس حتى تتوب، ولم يفرق الأئمة الثلاثة بين الرجل والمرأة في هذا الحكم.

الأدلـــــة

أدلة أهل القول الأول وهم القائلون بوجوب قتله:

١ ــ إن الساحر كافر بنصِّ كتاب الله تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤٨.

(٢) راجع فتح الباري: ١٠/٢٣٦. ٥/٤٧٧.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[1] فنفي الكفر عن سليمان يدلُّ دلالة واضحة على كفر الساحر، وأوضح منه قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[2].

فإن قيل فلم منعتم استتابته والمرتد يستتاب؟ فالجواب أنَّ الساحر عند المالكية كالزنديق، والزنديق لا يستتاب.

٢ ــ قالوا: وقتل الساحر سنة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ففي سنن أبي داود عن بجالة بن عبده قال: كنت كاتبا لِجَزْء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة؛ «اقتلوا كلَّ ساحر»[3]. وإسناده صحيح.

ورواه أيضا أحمد في مسنده، والبيهقي، وابن حزم في (المحلى)[4].

وصح أيضا قتل الساحر عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، ففي موطأ مالك عن عبدالرحمن بن سعد بن زراره أنه بلغه أنَّ حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دَبَّرتها فأمرت بها فقتلت[5].

فأنت ترى أن قتل الساحر مذهب عدد من كبار الصحابة، وقد تقرر عند علماء الأصول أنَّ الصحابي إذا قال قولا ولم يعرف له مخالف فإنه يعدُّ إجماعا،

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) سنن أبي داود ٣/٢٢٨. ورقم الحديث: ٣٠٤٣.
(٤) رواه أحمد في مسنده: ١/١٩٠، ١٩١، والبيهقي: ٨/١٣٦، وابن حزم في المحلى ١١/٣٩٧.
(٥) موطأ مالك: ص ٥٤٣. والحديث عند مالك رواه محمد بن عبدالرحمن بلاغا، ووصله عبدالله بن أحمد في «مسائل أبيه» والبيهقي «٨/١٣٦» عن عبدالله بن عمر بإسناد صحيح.

قال ابن قدامة بعد أن ذكر قول من قال بوجوب قتل الساحر من الصحابة: «اشتهر هذا القول فلم ينكر فكان إجماعا»[1].

٣ ـ واحتجَّ الذين قالوا بقتل الساحر بما رواه الترمذي عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: (حدُّ الساحر ضربة بالسيف). رواه الترمذي.

والصحيح أنَّ هذا الحديث ضعيف مرفوعا، فلا يجوز الاحتجاج به، قال الترمذي بعد إيراده له: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي (أحد رواته) يضعَّف في الحديث. وإسماعيل بن مسلم العبدري البصري (أحد رواة الحديث أيضا) قال وكيع فيه: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضا.

والصحيح عن جندب موقوف، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ وغيرهم»[2].

وخلاصة ما قاله الترمذي أنَّ الحديث ضعيف مرفوعا، صحيح موقوفا على جندب بن عبدالله.

أدلة أصحاب القول الثاني:

واحتج الشافعي وابن المنذر بأنَّ عائشة باعت مدبرة سحرتها، قالوا: لو وجب قتلها لما حلَّ بيعها، ولأنَّ النبي ﷺ قال: (لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلا

---

(١) المغني: ٥/١٥٣.

(٢) سنن الترمذي: ٤/٦٠ ورقم الحديث ١٤٦٠.

بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق). ولم يصدر منه أحد الثلاثة، فوجب أنه لا يحلُّ دمه[1].

وقال تقي الدين الشبلي في فتاويه: «وحمل الشافعي ما روي عن عمر وحفصة على السحر الذي فيه كفر، وما يقال عن عائشة أنها باعت جارية لها سحرتها، وجعلت ثمنها في الرقاب على السحر الذي ليس فيه كفر، توفيقا بين الآثار، واعتمد في ذلك حديث: (أمرت أن أقاتل الناس)»[2].

ويمكن أن يحتجَّ للشافعي ومن قال بقوله بأنَّ الرسول ﷺ لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر الرسول ﷺ.

تحقيق القول في عقوبة الساحر

والباحث إذا تأمل في أقوال أهل العلم وأدلتهم يجد أنه لا خلاف بينهم في واقع الأمر.

فأهل القول الأول الذين يرون وجوب قتل الساحر إنما قالوا هذا القول لأنَّ السحر عندهم لا يتم إلا بالكفر والشرك بالله تعالى.

وأهل القول الثاني الذين يرون عدم قتل الساحر في بعض الأحوال، إنما ذهبوا هذا المذهب لاعتقادهم بأنَّ السحر يتأتى بغير الكفر، وهم لا يخالفون الفريق الأول في وجوب قتله إذا كان سحره كفرا.

فالأمر عائد إلى تحقيق القول في حقيقة السحر ماهي؟ والحقُّ أنَّ السحر ثلاثة أنواع: الأول: السحر الحقيقي: الذي له حقيقة في الواقع. والثاني: سحر التخييل. والثالث: السحر المجازي.

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤٨.
(٢) المجموع للنووي: ١٩/٢٤٦.

والحقُّ أنَّ النوع الأول والثاني لا يتمان إلا بالكفر والعبودية للشيطان. والنوع الثالث قد يتأتى بالاستعانة بالجن وقد يتأتى من غير استعانة بهم.

أما ساحر أهل الكتاب فقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى وجوب قتله، ولم يفرق بينه وبين الساحر المسلم، واستدلَّ على مذهبه بالأدلة نفسها التي استدلَّ بها على قتل الساحر المسلم.

وذهب الجمهور إلى عدم قتله، ولكنه يعاقب، إلا أن يقتل بسحره فيقتل، أو يحدث حدثا فيؤاخذ به. وقال الإمام مالك: إن أدخل بسحره ضررا على مسلم نقض عهده بذلك[1].

ومن الأئمة الذين قالوا بعدم قتله الإمام مالك والشافعي وأحمد، وابن شهاب الزهري، قال البخاري في صحيحه: قال ابن وهب: أخبرني يونس عن ابن شهاب سُئل: «أعلى من سحر من أهل العهد قتل؟ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من أهل الكتاب»[2].

وقد يجاب عن الاستدلال الثاني بأنَّ الرسول ﷺ لم يقتله «لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ولأنه خشي إذا قتلهُ أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار، وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين»[3].

أما المرأة إذا سحرت فقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله ـ كما سبق النقل عنه ـ إلى عدم قتلها، ويرى أنها تحبس وتستتاب، والحق ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى، فإنهم لم يفرقوا بين الرجل والمرأة لعدم وجود الدليل الذي يفرق بينهم.

---

(١) راجع فتح الباري: ١٠/٢٣٦، ٥/٢٧٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب «هل يعفى عن الذمِّي إذا سحر»؟ فتح الباري: ٦/٢٧٦.
(٣) فتح الباري: ١٠/٢٣٦.

الفصل الحادي عشر

توبة الساحر

سبق أن ذكرنا أنَّ مذهب الإمام أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد أنَّ الساحر يقتل ولا يستتاب، وحجة من ذهب هذا المذهب أن الصحابة قتلوا السحرة من غير استتابة، ولأن السحر لا يزول بالتوبة. وذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وأصحابه إلى عدم استتابته لأنَّ الساحر عندهم حكمه حكم الزنديق كما سبق نقل ذلك عنهم، والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائبا قبل الاطلاع عليه.

وذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وهي رواية عن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنه يستتاب، لأن ذنبه ليس بأعظم من الشرك، والمشرك يستتاب، ولأن الساحر لو كان كافرا فأسلم صحَّ إسلامه وتوبته.

وهذا هو الأظهر ـ إن شاء الله تعالى ـ ودعوى أنَّ الزنديق لا يستتاب مسألة خلافية. وهذا الذي اختلفوا فيه إنما هو في ثبوت حكم التوبة في الدنيا من سقوط القتل ونحوه، فأمّا فيما بينه وبين الله تعالى، وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فيصحُّ، فإنَّ الله تعالى لم يسدَّ باب التوبة عن أحد من خلقه، ومن تاب إلى الله قبل الله توبته. قال ابن قدامه: «لا نعلم في هذا خلافا»[1].

وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أنّ سحرة فرعون آمنوا وقبل توبتهم.

---

(١) المغني: ٥/١٥٤، ٨/١٥٤. وراجع: أضواء البيان: ٤/٤٩٨.

الفصل الثاني عشر

تفسير آيات السحر من سورة البقرة

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

لما كانت هذه الآيات هي عمدة الأحكام التي تتعلق بالسحر في كتاب الله أحببت أن أتعرض لها بالشرح والبيان.

أولا: سبب النزول:

أنزل الله إلى بني إسرائيل شريعة مباركة طيبة هي شريعة التوراة، فتركوها ونبذوها واشتغلوا بالسحر الذي يعبدهم للشيطان، فلما جاءتهم الشريعة التي أنزلها الله على رسوله الخاتم استمروا على ضلالهم في اتباع السحر والإعراض

---

(١) سورة البقرة: ١٠١ - ١٠٣

عن وحي السماء، وزعموا أنّ نبي الله سليمان إنما سخرت له الجن والإنس والطير والريح بالسحر، فأنزل الله هذه الآيات ذاما لهم، مبينا كفرهم وضلالهم، مبرئا عبده ونبيه سليمان مما رماه به أهل الضلال.

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «في سبب نزول هذه الآيات قولان:

أحدهما: أنَّ اليهود كانوا لا يسألون الرسول ﷺ عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية. قاله أبوالعالية.

الثاني: أنه لما ذُكِرَ سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أنَّ ابن داود كان نبيا؟ والله ما كان إلا ساحرا، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق»[1].

ثانيا: التفسير والبيان:

الضمير في قوله (جاءهم) عائد إلى أهل الكتاب الذين كشف الله في هذه السورة كثيرا من معايبهم، وقد كان أهل الكتاب يزعمون أنهم الأمة المختارة المصطفاة، وأنهم أهل العلم والكتاب المنزل، وكان المفروض أن يسارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ عندما أرسل، لأنه مبعوث إليهم كما هو مبعوث إلى غيرهم، ولأنَّ كتابهم أمرهم بالتصديق به والإيمان به، وأعلمهم بصفاته ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2]، ولكنهم كفروا به، وصدُّوا عنه، ونبذوا كتاب الله الذي أمرهم باتباع هذا الرسول الكريم، واتبعوا السحر الذي جاءت به الشياطين أو أنزل على الملكين ببابل.

---

(١) زاد المسير: ١/ ١٢٠

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧

وفائدة تنكير (رسول) في الآية التفخيم والتعظيم. أي لما جاءهم رسول عظيم كريم.

وقوله: (من عند الله) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لرسول، أي رسول كائن من عند الله، وقوله (مصدق) صفة أخرى للرسول.
ووجه كونه مصدقا لما معهم أنّه أخبر بصدق التوراة، وأنّها منزلة من عند الله، وصدق ما فيها من التوحيد وأصول الدين، وأخبار الأمم والمواعظ والحكم، وأظهر ما سألوه عن غوامضها.

وقيل: إنّ تصديقه للتوراة تحقق ببعثته على النعت الذي وصفته التوراة، فقد كان وجوده ونعته مطابقا للأوصاف التي أخبرت التوراة بها، ولو لم يأت الرسول ﷺ على هذا النحو لكانت التوراة كاذبة. والصحيح أنّ كلا المعنيين صحيح مراد.

وأصل النبذ في لغة العرب: الطرح والإلقاء، ومنه سمي اللقيط منبوذا، ومنه سمي التمر والزبيب الذي يطرح في الماء نبيذا. والمراد بالنبذ في الآية الإعراض عما أمرهم به كتابهم من متابعة الرسول ﷺ والإيمان به، والعمل بالكتاب الذي جاء به، قال السدي: «نبذوا التوراة وأخذوا بكتب آصف وسحر هاروت وماروت. وقال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكن نبذوا العمل به. وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج، وحَلُّوه بالذهب والفضة ولم يُحلِّو حلاله، ولم يحرِّموا حرامه، فذلك النبذ»[1].

وقد شبَّه الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ تركهم لكتابه وإعراضهم عنه بحال من يرمي الشيء الذي يُسْتَخفُّ به وراء ظهره، يقول القرطبي: «وهذا مثل يضرب

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤١

لمن استخفَّ بالشيء فلا يعمل، تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك، ودبراً منك، وتحت قدمك، أي اتركه وأعرض عنه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾[1].

ويقول الأستاذ سيد قطب: «نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والمقصود أنهم جحدوه وتركوا العمل به، وأنهم أبعدوه عن مجال تفكيرهم وحياتهم، ولكنَّ التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الذهن إلى دائرة الحس، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة، تصور هذا التصرف تصويرا بشعا مزريا، ينضح بالكنود والجحود، ويتسم بالغلظة والحماقة، ويفيض بسوء الأدب والقحة، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور»[2].

وجملة (كأنهم لا يعلمون) في محلِّ نصب حال، أي نبذوه مشبَّهين بمن لا يعلم «ما في التوراة من الأمر، باتباع محمد ﷺ وتصديقه، وهذا من الله ـ جلَّ ثناؤه ـ إخبار عنهم أنهم جحدوا الحقَّ على علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله، فخالفوا منهم بوجوبه عليهم»[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[4]. (تتلو) فعل مضارع، ومعناه المضي، أي: تلت.

ولتتلو معنيان: أحدهما الاتباع، كما يقال: تلوت فلانا، أي مشيت خلفه وتبعت أثره. قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[5] أي تبعها.

---

(١) سورة هود: ٩٢
(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٩٥
(٣) تفسير الطبري: ١/ ٤٤٢.
(٤) سورة البقرة: ١٠٢
(٥) سورة الشمس: ٢

والثاني - وهو الأكثر ورودا في كتاب الله: القراءة والدراسة، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾[2] ولم يأت خبر صحيح يبين لنا كيف كانت الشياطين تتلو السحر في ذلك العهد[3]، والنصُّ وحده كاف في الدلالة على ذم اليهود الذين نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما ألقته إليهم الشياطين.

و(على) في الآية بمعنى (في). وتأتي (على) بمعنى (في) في لغة العرب كثيرا، كما أنَّ (في) تأتي في موضع (على) كقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[4] أي على جذوعها.

قوله: (وما كفر سليمان)[5] برأ الله نبيه سليمان مما رماه به اليهود، حيث أنهم يزعمون أنَّ سليمان كان ساحرا، وبالسحر دان له الجن والإنس والطير، وسُخِّرت له الريح. واليهود يحاولون دائما أن يبرروا ما هم عليه من القبائح والجرائم، ومن طرائقهم في هذا أن ينسبوا هذه العظائم إلى الأنبياء والمرسلين، فيقولون: إنَّ لوطا زنى بابنتيه، وأحد أبناء يعقوب خان أخاه، وسليمان كان ساحرا، فكأنهم يقولون: لا حرج علينا إن وقع هذا منا، فهؤلاء أنبياء الله وقعت منهم هذه العظائم، ولعلَّ من هذا الباب ما زعمه اليهود من أنَّ الله ركَّب الشهوة في الملكين هاروت وماروت، فلما نزلا إلى الأرض لم يمكثا إلا قليلا حتى وقعا فيما حرَّمه الله عليهما، وقد برأ الله رسله وأنبياءه مما رمتهم به اليهود، وأكذبهم في دعواهم.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٩

(٢) سورة البينة: ٢

(٣) أما الروايات التي شحنت بها كتب التفسير المبينة كيف كانت الشياطين تتلو فإنها غير صحيحة.

(٤) سورة طه. ٧١

(٥) سورة البقرة: ١٠٢

قال صديق حسن خان في الآية: «نزَّه الله نبيه سليمان عليه السلام عن الكفر، ولم يتقدم أنَّ أحدا نسبه إلى الكفر، ولكن لما نسبه اليهود إلى السحر صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، لأنَّ السحر يوجب ذلك»[1].

قال ابن حجر العسقلاني: «اختلف في المراد بالآية، فقيل: إنَّ سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي. فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم الشيطان في صورة إنسان، فقال لليهود: هل أدلكم على كنز سليمان الذي لا نظير له؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا - وهو متنح عنهم - فوجدوا تلك الكتب. فقال لهم: إنَّ سليمان كان يضبط الجن والإنس بهذا، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحرا، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك، وقالوا: إنما كان ساحرا، فنزلت هذه الآية. أخرجه الطبري وغيره عن السدي، ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه. ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولا بمعناه.

وأخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه، ولكن قال: إنَّ الشياطين هي التي كتبت السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما مات سليمان استخرجته، وقالوا: هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس. وأخرجه من طريق محمد بن إسحاق وزاد أنهم نقشوا خاتما على نقش خاتم سليمان، وختموا به الكتاب وكتبوا عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه، فذكر نحو ما تقدم. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدِّي ولكن قال: إنهم لما وجدوا الكتب قالوا: هذا ما أنزل الله على سليمان فأخفاه منا.

---

(١) الدين الخالص: ٢/٣٢٤.

وأخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنتها تحت كرسيه، ثم أخرجوها بعده فقرؤوها على الناس. ثم قال ابن حجر: وملخص ما ذكر في تفسير هذه الآية أنَّ المحكي عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين»[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾[2]

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (ولكنْ) بتخفيف النون، ورفع نون (الشياطين)، وقرأ الباقون (ولكنَّ) بتشديد النون، ونصب (الشياطين). والقراءتان صحيحتان[3].

وقرأ ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والزهري: (الملكين) بكسر اللام[4]، والمراد بهما داود وسليمان، أو رجلان من بني آدم.

وقد قال الطبري بعد ذكره لهذه القراءة: «إجماع الحجة على خطأ القراءة بها من الصحابة والتابعين وقراء الأمصار»[5].

وقد اختلف أهل العلم في (بابل) التي ذكرت في النص ما هي؟ وأين هي؟ وقد عرض القرطبي لهذا الاختلاف فقال: «بابل لا ينصرف للتأنيث والتعريف والعُجْمة، وهي قُطر من الأرض. قيل: العراقُ وما والاه. وقال

---

(١) فتح الباري: ٢٢٣/١٠

(٢) سورة البقرة: ١٠٢

(٣) حجة القراءات: ١٠٩. زاد المسير: ١٢٢/١

(٤) زاد المسير: ١٢٢/١

(٥) تفسير الطبري: ٤٥٩/١

ابن مسعود لأهل الكوفة: أنتم بين الحيرة وبابل. وقال قتادة: هي من نصيبين إلى رأس العين. وقال قوم: هي بالمغرب. قال ابن عطية: وهذا ضعيف. وقال قوم: هو جبل نهاوند. واختلف في تسمية بابل، فقيل: سُمّيَ بذلك لتبلبل الألسن بها حين سقط صرح نمرود، وقيل: سُمي به لأن الله تعالى لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً حشرتهم من الآفاق إلى بابل، فبلبل الله ألسنتهم بها، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد. والبلبلة: التفريق. قال معناه الخليل. وقال أبوعمر بن عبدالبر: من أخصر ما قيل في البلبلة وأحسنه ما رواه داود بن أبي هند عن علياء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض»[1].

والصحيح في (بابل) أنها مدينة كانت بالعراق على ضفتي نهر الفرات، وكانت أعظم مدائن العالم في وقتها، وقد وصفها (هيروتس)[2] شيخ المؤرخين في عصره باتساعها، وكثرة علومها وفنونها، ومن هذه العلوم علم السحر والفلك.

ولا يزال للسحر وجود واضح في العراق على مرِّ التاريخ، فقد ذكر بدر الدين الشبلي أنَّ الإمام مالك بلغه أنَّ عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق، فقال له كعب الأحبار: «لا تخرج يا أمير المؤمنين، فإنَّ بها تسعة أعشارِ السحر والشر» وعزا بدرالدين هذا الخبر إلى مالك في موطئه، وقد ذكر المؤرخون في بابل حكايات وأساطير وأخبارا مغرقة في الخيال[3].

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/٥٣

(٢) رحالة يوناني عاش ما بين ٤٨٤ ـ ٤٢٥ قبل الميلاد.

(٣) راجع معجم البلدان لياقوت: ١/٣٠٩

واختلف أهل العلم في (ما) التي في قوله: ﴿وما أنزل على الملكين﴾[2] هل هي موصولة أو نافية.

فذهب ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ إلى أنها موصولة، وتكون في هذه الحالة معطوفة على (ما) في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[2] أي اتبعوا ما تتلو الشياطين، وما أنزل على الملكين، ويصح أيضا أن تكون معطوفة على السحر، والمعنى أنَّ الشياطين يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين[3].

وقد رفض جمع من المفسرين منهم القرطبي[4] هذا الوجه في تفسير الآية، لأنه يؤدي إلى أنَّ الله أنزل السحر على الملائكة، وأنَّ الملائكة يعلمون هذا السحر للناس، وقالوا: إن قواعد الشريعة تأبى هذا. وهؤلاء قالوا: إن (ما) نافية معطوفة على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[5] فتكون الآية برأت الملائكة مما ادعاه اليهود من أنَّ الملائكة كانوا يعلِّمون السحر، كما برأت سليمان عليه السلام. ويكون المعنى: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين.
ولكنَّ هذا الفريق وقع في إشكال، لأنَّ قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[6] وقوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[7] يدلُّ دلالة واضحة على وجود اثنين يعلمان بعد نهيهما المتعلم عن التعلم، وأنَّ المتعلم يستخدم علمه الذي أخذه منهما في الإضرار المذكور في الآية.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢
(٢) سورة البقرة: ١٠٢
(٣) تفسير الطبري: ١/٤٥٩
(٤) تفسير القرطبي: ٢/٥٠
(٥) سورة البقرة: ١٠٢
(٦) سورة البقرة: ١٠٢
(٧) سورة البقرة: ١٠٢

وقد تعسَّف هذا الفريق في تأويل النص القرآني، فقالوا: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وما يعلمان. . .

والقول الأول هو الصحيح إن شاء الله لوجوه:

الأول: أنَّ أهل القول الثاني جعلوا هاروت وماروت بدلا من الشياطين، وقد تقرر في علم العربية أنه يجب أن يكون البدل على حد المبدل منه، والبدل هنا اثنان والمبدل منه جمع، وفي هذا خلل لا يخفى، وقد تكلَّف القرطبي في توجيه إعراب هاروت وماروت.

الثاني: أنّ التقديم والتأخير في النصِّ القرآني على هذا النحو الذي يقارب الألغاز لا يناسب الأسلوب القرآني الذي بلغ القمة في الفصاحة والبلاغة. وقد عقَّب الشوكاني على هذا الوجه من التفسير قائلا: «وعندي أنه لا موجب لهذا الوجه من التعسف المخالف لما هو الظاهر». وقال الألوسي: «ولا ينبغي حمل كلام الله وهو في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة على ما هو أدنى من ذلك وما هو إلا مسخ لكتاب الله، وإهباط له عن شأواه، ومفاسد قلة البضاعة لا تحصى».

الثالث: كيف يكون هاروت وماروت شيطانين، ثم ينصحان من جاء يتعلم السحر، فيقولان له: (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فما علمنا الشيطان إلا موسوسا بالشر، وما علمناه ناصحا بالخير محذرا من الشر.

إنَّ النصَّ القرآني صريح واضح في أنَّ الله أنزل السحر على الملكين ببابل فتنة واختبارا وابتلاء، ولله أن يختبر عباده بما شاء، وقد خلق الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ إبليس الذي هو أصل الشر، ونهى العباد عن متابعته وحذَّر منه، واختبر الحقُّ جيش طالوت بعدم الشرب من النهر.

ولعلَّ الحكمة من وراء هذا الاختبار تنبيه الناس في ذلك الزمان إلى أنَّ السحر ليس بالشيء العظيم الذي لا يناله إلا الخاصة وأصحاب العقول، كما كان كثير من الناس يظنّ، فقد أقام الله الملكين يعلمان الناس السحر ويقولان لهم: كلُّ واحد يستطيع أن يكون ساحرا، ولكننا نحذركم من السحر، فإنَّ السحر كفر، يجلب غضب الله.

وقد أجاب العلامة ابن العربي عن الاشكالين اللذين قاما في نفوس الذين نفوا إنزال الله للسحر، وتعليم الملائكة له، فقال: «فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟

قلنا: كلُّ خير أو شرّ أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزل من عند الله تعالى، قال النبي ﷺ في الصحيح: «ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن!! أيقظوا صواحب الحجر، ربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.

فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق»[1].

فإن قيل: وكيف نزل الكفر على الملكين؟ وهم يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، فأنى يصحُّ أن يتكلموا بالكفر ويعلّموه؟

والجواب أنَّ الملكين ليسا بعاصيين في حال تعليمهما الناس السحر، بل هما مطيعان الله، ذلك أنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختبارا من الله لعباده.

يقول الألوسي: «وهذان الملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس، فمن تعلَّم وعمل به كفر، ومن تعلَّم وتوقى عمله ثبت على الإيمان،

---

(١) أحكام القرآن: ١/٢٨.

ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن قوم طالوت بالنهر»[1].

والفتنة: الابتلاء والاختبار، ومنه قولهم فتنت الذهب بالنار، إذا امتحنتها لتعرف جودتها من رداءتها.

ولا يجوز لأحد أن يتعلّم السحر ويعلمه مدعيا أنه يقتدي بالملكين في ذلك، فإنَّ الله كلّف الملكين بما يقومان به من التعليم، ونهى عباده عن تعلمه، وبهذا نكشف عن الزور الذي يقوم به بعض الدجالين من السحرة، الذين يوهمون الناس أنهم روحانيون مقتدون بهاروت وماروت حيث يقولون للناس الذين يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض: نوصيك بألا تكتب هذا لجلب امرأة متزوجة إلى حبِّ رجل غير زوجها؟ وألا تكتب لأحد الزوجين بأن يبغض الآخر؟ وبأن تخصَّ هذه الفوائد بالمصلحة كالحب بين الزوجين المتباغضين، والتفريق بين العاشقين الفاسقين، وإنما يقولون في هذا ليوهموا الناس أن علومهم إلهية، وأن صناعتهم روحانية، وأنهم صحيحو النية[2].

وقد ورد في قصة هاروت وماروت كثير من الأحاديث والآثار محصلها أن هاروت وماروت ملكان أهبطا إلى الأرض، وسبب ذلك أنَّ الله تعالى لما اطلع الملائكة على معاصي بني آدم عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أنعمه عليهم، فقال الله تعالى لهم: اما انكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم.

فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا.

فأمرهم الله أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأحلّ لهما كلَّ شيء، على أن لا يشركا بالله شيئا ولا يسرقا ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا

(١) روح المعاني: ١/٣٤٠.
(٢) مختصر تفسير المنار: ١/٨٣.

بالحق، فعرضت لهما امرأة ـ وكانا يحكمان بين الناس ـ تخاصم زوجها، واسمها بالعربية الزهرة، وبالفارسية: فندرخت، فوقعت في أنفسهما، فطلباها، فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنما، ويشربا الخمر، فشربا الخمر، وعبدا الصنم، وواقعاها، وقتلا سابلا مرَّ بهما خافا أن يشهر أمرهما، وعلماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج به إلى السماء، فتكلمت وعرجت، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت، فمسخت كوكبا.

قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه، فتعجب الملائكة من ذلك، ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء، فكانا يعلمان السحر»[1].

وهذه القصة التي يذكرها المفسرون عند هذه الآية غير صحيحة، يقول القاضي عياض: «وإنَّ ما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تأويلها فاعلم ـ أكرمك الله ـ أنَّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئا يؤخذ بالقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم، كما نصه الله تعالى أول الآيات»[2].

ولله در ابن كثير حيث قال بعد سياقه للأحاديث والآثار الواردة في قصة هاروت وماروت: «وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا

---

(١) تفسير الماوردي. ١٤٢/١.

(٢) انظر تعليق محقق زاد المسير: ١٢٥/١.

إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»[1].

وقال أيضاً: «وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أنَّ الزهرة كانت امرأة فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الأعظم فعلماها فقالته، فرفعت كوكبا إلى السماء، فهذا من وضع الإسرائيليين، وإن كان أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل»[2].

وقال القرطبي بعد سياقه لبعض الآثار والنصوص التي وردت في قصة هاروت وماروت: «هذا كلُّه ضعيف، وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصحُّ منه شيء، فإنَّه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ثم ذكر ما معناه أنَّ العقل يجوِّز وقوع ذلك منهم، لكن وقوع هذا الجائز لا يُدْرى إلا بالسمع ولم يصح»[3]. انتهى.

وهل كان وجود هاروت وماروت في عصر من العصور ثم انتهت مهمتهم، أو استمرَّ وجودهم على مرّ العصور.

روى الطبري في تفسيره قصة عن عائشة تدلُّ على أنَّ وجودهم مستمر.

قال الطبري: «حدثنا الربيع بن سليمان، قال لنا ابن وهب: أخبرنا ابن أبي الزناد، قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٢٤٨.
(٢) البداية والنهاية: ١/٣٧.
(٣) تفسير القرطبي: ٢/٥٢.

أنها قالت: «قدمت عليّ امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به.

قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها. كانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت. كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز، فشكوت ذلك إليها. فقالت: إن فعلت ما آمرك به، فأجعله يأتيك.

فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما. فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فأبيت، وقلت: لا. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت ففزعت، فلم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ قلت نعم، فقالا: فهل رأيت شيئا، قلت: لم أر شيئا، فقالا لي: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت، فاقشعررت وخفت، ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت: فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري. فإنك على رأس أمرك، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسا مقتنعا بحديد خرج مني، حتى ذهب في السماء، وغاب عني، حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت، فقالا: ما رأيت؟ فقالت: فارسا متقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه، فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك. اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا، وما قالا لي شيئا، فقالت: بلى. لن تريدي شيئا إلا كان، خذي هذا القمح، فابذري فبذرت، فقلت أطلعي فأطلعت، وقلت: أحقلي فأحقلت، ثم قلت: أفركي فأفركت، ثم قلت: أيبسي فأيبست، ثم قلت: اطحني فأطحنت، ثم قلت: اخبزي فأخبزت، فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان، سقط في يدي وندمت، والله يا أم المؤمنين، والله ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا»[1].

وهذه القصة غير صحيحة، ثم هي مخالفة للنصِّ القرآني، فالنصُّ يدلُّ صراحة على أنَّ هاروت وماروت يعلمان طالب السحر السحر، بعد أن يقولا له لا تكفر، وهذه القصة مصرحة بأنهما لم يعلِّما هذه المرأة شيئا..

والأمر الثاني: أنَّ القرآن مصرح بموضوع التعليم وهو التفريق بين المرء وزوجه ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[2]، والقصة تدلُّ دلالة واضحة أنَّ هذه المرأة لم تتعلم من هاروت وماروت ما دلت الآية على أنهم يعلمونه الساحر.

وعلى فرض صحة القصة إلى عائشة فمن أدرانا أنَّ هذه المرأة صادقة في دعواها، فقد يكون الذي رأتهما معلقين شياطين أرادا إضلالها، وقد تكون كاذبة أصلا لم يقع لها شيء، وقد تكون من أعداء الإسلام أرادت أن تضلَّ بهذه القصة المسلمين، وكم أضلَّت هذه القصة من عقول، وأفسدت من قلوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) تفسير الطبري: ١/٤٦٠.

(٢) سورة البقرة. ١٠٢.

قوله: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] يعني بحكمه وقضائه لا بأمره، لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ويقضي الخلق بها، قاله ابن العربي[2].

وهذه الآية مصرحة بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ فإنه لا يكون، ولذلك فإنَّ الساحر لا يستطيع أن يؤثر بسحره إذا لم يشأ الله ذلك، وفي هذا توجيه لقلوب العباد كي تقصد معبودها وباريها دون غيره، فعليه التوكل، وهو المرتجى، ولا حول ولا قوة إلا به.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[3] المعنى أنَّ اليهود قد علموا فيما عهد الله إليهم أنَّ الذين يستبدلون بكتاب الله السحر أنه ليس لهم في الآخرة (من خلاق) أي نصيب.

«والمراد بالشراء هنا الاستبدال، أي من استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله»[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) أحكام القرآن: ١/٣١.
(٣) سورة البقرة: ١٠٢.
(٤) نيل المرام لصديق حسن خان. ص ٢٢.

الفصل الثالث عشر
أدعياء الغيب
المبحث الأول
تعريف الغيب وبيان سرّ ولع الناس بمعرفته

المطلب الأول: تعريف الغيب

الغيب في لغة العرب ما غاب عن العيون. وقال ابن الأعرابي: الغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصّلا في القلوب[1].

والحق أنَّ الغيب ليس مقصورا على ما غاب عن العيون فحسب، بل ما غاب عن حواس الإنسان جميعها، وعلى ذلك فالغيب هو ما لا نعتمد في إدراكه على إحدى الحواس، فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها، ومعرفة الأسباب من أسبابها بطريق الاستدلال، وقياس ما غاب بما حضر، كعلمنا بشفاء المريض قبل حصوله إذا وجدنا العلاج ناجعاً، وكثرة ثمار الأرض إذا رأينا النبات ناميا، وسقوط أُمَّةٍ إذا ألفينا أبناءها متفرقي القلوب منغمسين في اللهو والترف منصرفين عن الجدّ والعمل. كلُّ ذلك خارج عن دائرة علم الغيب أو التنبؤ بالغيب[2].

---

(١) لسان العرب. ٢/١٠٣٣ بصائر ذوي التمييز: ٤/١٥٢

(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٥.

المطلب الثاني
ولع الإنسان بمعرفة الغيوب

وقد توصل الباحثون في تاريخ البشر ونفس الإنسان إلى أنَّ الإنسان له ولع شديد بمعرفة الغيب، وفي ذلك يقول العلامة ابن خلدون: «اعلم أنَّ من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مُدَد الدول أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة البشر، مجبولون عليها، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام»[1].

المطلب الثالث
الرسل والرسالات لبَّتْ الرغبة النفسية لدى البشر

وقد أشبعت الشرائع الإلهية والرسل المبعوثون من عند الله هذه النزعة البشرية في النفس الإنسانية، فحدثت الناس عن العوالم غير المنظورة التي سماها القرآن عالم الغيب، حدثهم ربهم عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما حدثهم عن عالم الملائكة وعالم الجن، وحدثهم طويلا عن الموت وسكراته، والقبر وسؤاله وأهواله، والبعث والنشور والجنة والنار.

وأطلعهم على كثير من الحوادث التي ستقع فوق ظهر هذه الأرض، فموسى وعيسى بَشَّرا ببعثة نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[2].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٨٧.

(٢) سورة الصف: ٦.

وأنذر كلُّ نبي أمته المسيح الدجال، ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله، ثمَّ ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإنَّ الله ليس بأعور)[1].

وفي الصحيحين عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإنَّ ربكم ليس بأعور، وإنَّ بين عينيه مكتوب كافر)[2].

ومن نظر في الغيوب التي أخبرنا بها القرآن، وأخبرنا بها رسولنا ﷺ وجد كمًّا هائلا من الأخبار في هذا المجال، وقد جمعت قدرا صالحاً من هذه الأخبار في كتابي: «القيامة الصغرى».

ومن هذه الأخبار الصحيحة أنَّ الروم سيهزمون الفرس في بضع سنين، وتولي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الخلافة من بعد الرسول ﷺ، وإصلاح الحسن بن علي بن أبي طالب بين الفريقين المتقاتلين، واعتلاء بني أمية الحكم.

ومن هذه الأخبار أشراط الساعة، وهي: الدخان، وخروج الدجال، والنار التي تخرج آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري: (١٣/٩٠).
(٢) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري: (١٣/٩١). صحيح مسلم: كتاب الفتن. باب ذكر الدجال وصفة ما معه. (٤/٢٢٤٨) ورقم الحديث: ٢٩٣٣.
(٣) راجع كتابنا: القيامة الصغرى.

وهذه الأخبار يجب الإيمان بها لأنها إخبار عن الله ـ تعالى ـ الذي أحاط بكلِّ شيء علماً، وقد امتدح الله المؤمنين الذين يصدِّقون بالغيب الذي يخبر به، أو يخبر به رسوله ﷺ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[1].

طريقة حصول الرسل على الغيب

والطريق الذي يبلغ الله به رسله وأنبياءه أخبار الغيب والشرائع والأحكام هو الوحي ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[2].

وكان الرسول أو النبي يجد في نفسه ما يريد الله إبلاغه إياه من غير أن يسمع صوتا، وقد يكلمه الله من وراء حجاب، وقد يرسل إليه ملكا فيوحي إليه ما حَمَّلَهُ الله إياه ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[3].

وقد دلتنا النصوص المبينة كيفية وحي الملك إلى الرسول ﷺ أنَّ الملك كان يأتيه على ثلاثة أحوال:

الأول: أن يرى الرسول ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه بما أرسله الله به، ولم يحدث هذا للرسول إلا مرتين.

---

(١) سورة البقرة: ١ ـ ٣.
(٢) سورة النساء: ١٦٣.
(٣) سورة الشورى: ٥١.

الثاني: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب جبريل عن الرسول ﷺ، وقد فقه الرسول ﷺ عنه ما قاله، وقد كان الرسول ﷺ عندما يأتيه جبريل في هذه الحال يشرق وجهه ويثقل جسده وينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. ويسمع الحاضرون دويا كدوي النحل عند رأسه، ولا يتكلم الرسول ﷺ في حال الوحي شيئا، وعندما يذهب عنه الملك يكون قد فقه عنه كلَّ ما أوحى به إليه.

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويخاطبه، ويعي عنه ما يقول، وهذه أخف الأحوال على الرسول ﷺ[1].

المطلب الرابع
مدى قدرة الإنسان على معرفة الغيب بنفسه

ولم يقنع البشر بما أخبرتهم به الرسل والأنبياء من غيوب آتية، فذهبوا يستكشفون الغيب الآتي، وزعموا أنَّ بعض البشر لديه القدرة على معرفة الغيب، وقام في كلِّ عصر وفي كل مصر أقوام يزعمون أنَّ لديهم القدرة على معرفة الأحداث الآتية، والكائنات الغائبة.

وصَدَّق بعض الباحثين في هذا المجال بأنَّ بعض الناس لديهم قوة تمكنهم من رؤية الأشياء والحوادث غير المنظورة سواء في الزمان أو في المكان، وعللوا هذا بوجود خاصية في أرواحهم سموها بُعْد النظر الروحي[2].

وهذا الذي قالوه غير صحيح، وحسبنا أن نعلم أنَّ أفضل أفراد الجنس الإنساني وهم الأنبياء والرسل لا يملكون هذه الخاصة المزعومة، فقد أمر الله خيرة

---

(١) راجع في هذا المبحث كتابنا: الرسل والرسالات: ص ٥٩

(٢) التنبؤ بالغيب. للدكتور أحمد الشتناوي: ص ١٢.

خلقه أن يعلن هذه الحقيقة للناس: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[1].

وما عرفه الرسل من الغيب فهو مما أطلعهم الله عليه لا بقدراتهم الذاتية ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾[2].

وعلم الغيب مختص بالله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]، ومن الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحدا حتى رسله وأنبيائه، تلك الأمور التي سماها الحقُّ بمفاتح الغيب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[4].

ومفاتح الغيب هي المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٢) سورة الجن. ٢٦ ـ ٢٨.
(٣) سورة النمل ٦٥
(٤) سورة الأنعام: ٥٩.
(٥) سورة لقمان: ٣٤.

المبحث الثاني

الكهانة والعرافة

المطلب الأول: الألقاب التي أطلقت على أدعياء الغيب

وأشهر الذين يدعون الغيب هم الكهان وقد تسمي العرب كلَّ من يدعي علم الغيب كاهنا.

وقد عَرَّف ابن حجر الهيثمي الكاهن بأنه «الذي يخبر عن بعض المضمرات، فيصيب بعضها ويخطىء أكثرها، ويزعم أنَّ الجن تخبره بذلك».

ونقل عن بعض العلماء أنَّ الكهانة «تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء علم الغيب وزعم أنَّ الجان هي التي تخبر بذلك»[1].

وقال ابن عابدين: «الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب، وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم، وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى، والذي يدعي أنَّ له صاحبا من الجن يخبره عما سيكون»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

---

(١) الزواجر: ٢/١٠٩.

(٢) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٢.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»[1].

وقال الشارح الشيخ سليمان: «من يدعي علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإمّا مشارك له في المعنى فيلحق به، وإصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ماهو من الشياطين، ويكون بالفأل وزجر الطير والضرب بالحصى والخط بالأرض والكهانة والتنجيم، ونحو هذا من علوم الجاهلية... وكلُّ هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرافا أو مافي معناهما فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد»[2].

المطلب الثاني
طرق الكهان في معرفة الغيب

استقصى الباحثون أحوال أدعياء الغيب فوجدوا أن ما يخبرون به إمّا أمر قد مضى وانقضى، أو هو أمر آت قادم. فإن كان المخبر به شيء قد وقع فإن معرفة هذا أمر ممكن مقدور، وليس من الغيب في شيء، وهؤلاء يكون لهم أعوان وجواسيس يخالطون الناس ويأتونهم بأخبارهم، ثم يكاشفون الناس بها فيظن من لا علم عنده أنهم يعرفون الغيب.

وبعض هؤلاء تعينه الجن في معرفة السارق وموضع السرقة، ويُعَرِّفونه بأن فلانا الغائب سيقدم عليه اليوم أو غدا، ونحو ذلك، والعلم بالواقع ونقل هذا العلم أمر ممكن سهل، وقد أصبح اليوم أمرا لا يتعجب منه بعد اختراع الهاتف والتلكس ونحوها من وسائل الاتصال في هذا العصر.

(١) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦٠.
(٢) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦١.

وبعض الكهان يكونون من الذكاء والنباهة بحيث يجيبون إجابات محتملة عامة يمكن تفسير كل الاحتمالات في ضوئها، بحيث يبدو أنَّ الكاهن أخبر بالحقِّ مهما كانت النتيجة التي صار إليها الإنسان المستخبر، وأقرب مثال لهذا أنَّ رجلا استشار كذابا من هؤلاء الدجالين في ابنه المريض، فقال له: إنَّ ابنك سيستريح، فلما مات الولد قال له: ألم أقل لك إنه سيستريح من آلامه وأوجاعه، ولو كان شفي من مرضه لكانت تلك الإجابة مقنعة للسائل بصحة قول ذلك الدجال أيضا.

وبعض ما يصيب به الكهان يكون مستندا إلى ظنٍّ وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

وبعض ما يصيبون فيه يكون مستندا إلى التجربة والعادة فيستدلُّ على الحادث بما وقع قبل ذلك.

ولكنَّ الأخبار التي يصيب فيها الكهان مما لا يستند إلى التجربة أو الظن والحدس من الأخبار الآتية فإنَّ مصدره الشياطين، والذين يستحقون اسم الكهانة هم هؤلاء الذين يوحي إليهم الشيطان.

المطلب الثالث
علاقة الكهان بالشيطان وطريقة وحي الشيطان إليهم

وأغلب الكهان عباد للشيطان يتلبس بهم، وينطق على لسانهم، والشياطين تألف هذه النفوس الخبيثة التي تدنست بالشر ورضيت به.

يقول الخطابي: «الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين، لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكلِّ ما

تصل قدرتهم إليه، وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية في العرب لانقطاع النبوة فيهم»[1].

المطلب الرابع
نماذج من العرافة والكهانة

١ ــ كهان الإغريق والمصريين

ومن أشهر مراكز التنبؤ في العالم القديم مركز (دلفي) في بلاد الإغريق، وكان اليونان يقصدون هذا المركز لاستشارة الكهنة فيما ينوون القيام به من أعمال، وكانوا يعظمون هذا المعبد، ويغمرون مذابح المعبد بالهدايا والقرابين، وقد كان مركز (دلفي) يمتاز بالساحات الواسعة، ومحلى بالنوافير والمعابد الجميلة، وبه (أستاد) عظيم ومسرح فخم، وتماثيل مصنوعة من الرخام، وأخرى من البرونز أو الذهب، وأبدع رسومه أكبر الفنانين في عصره.

وأشهر كاهنات (دلفي) كانت تدعى (بيثا)، وكان من دأبها أن تلوك بين أسنانها بعض أوراق شجر الغار، وتستنشق الغازات التي كانت تنبعث من شقٍّ في الصخر أسفل الكرسي الذي كانت تجلس عليه، وتشرب من مياه نبع (كاسوتس) فتعتريها شبه غيبوبة وتهذي بكلام ينبىء عما سيقع من أحداث في مستقبل الأيام[2].

وأقدم من هذا المركز في اليونان مركز كهانة (دودونا) في جنوب مقدونيا، وكان هذا المركز يقوم وسط مرج من أشجار البلوط، وكان الاعتقاد عند أهل

---

(١) فتح الباري: ١/٢١٧.
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ١٩.

ذلك العصر أنَّ حفيف تلك الأشجار يحمل في طياته إرادة الإله (زيوس) ومشيئته.

وكان الكهنة الدجالون يقومون بتفسير تلك الأصوات التي تنبعث من أوراق تلك الأشجار، ويعدونها الإجابة المنشودة عن الأسئلة التي كانت تنهال على الكهنة في ذلك المركز من قبل الوافدين إليهم من جميع أنحاء اليونان استنباء عما يخفيه القدر عنهم من أمور وأحداث[1]

ومن مراكز الكهانة الشهيرة في العالم مركز (آمنون رع) في مصر، ويرجع تاريخ هذا المعبد الشركي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان الشيطان قد عشش في ذلك المركز وباض، وكان يظهر للناس في شكل طيف يمثل الإله يتحدث إلى الناس، ويسمع الأسئلة ويجيب عنها، ويقال إنَّ الإسكندر الأكبر عندما زار معبد (آمنون رع) في صحراء مصر خرج إليه ذلك الطيف وخاطبه قائلا: «إنني أعدك بأنك سوف تملك البلاد جميعا وتخضع لك جميع الأديان»[2].

وهؤلاء الكهان يزعمون أنهم يوحى إليهم، وهذا صحيح، ولكنه ليس بوحي رحماني بل وحي إبليسي شيطاني قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[3] ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[4].

والشيطان عندما يوحي إلى هؤلاء الكهان - كما هو مشاهد من أحوالهم - فإنه يُغْشَى على الواحد منهم، ويذهب عقله، ويأخذ في الهذيان، ويتكلم في حال

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ١٩.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٩.
(٣) سورة الأنعام: ١١٢.
(٤) سورة الأنعام: ١٢١.

غشيته، والمتكلم هو الشيطان، ينطق بلسان الكاهن، ويجيب عمّا يسأل عنه، وعندما يفيق هذا الكاهن لا يدري عما سئل عنه، وما أجاب به حال غشيته شيئا، وهذا كله مخالف لحال الرسل الذين تحدثنا عن كيفية وحي الله إليهم، وكيف يكون حالهم عند الوحي.

فالرسول لا ينطق حال الوحي، ويكون الوحي نماء في جسده بحيث يثقل جسده ويتفصد جبينه عرقا، وهذا بخلاف حال الكاهن الذي يصفر وجهه، ويضعف جسده، وتنحل قواه، ويتحدث في حال غيبوبته، ولا يدري عما تحدث به بعد أن يفيق من غيبوبته شيئا. يقول أحمد الشنتناوي عن الحال التي تصيب الكهان عندما يوحى إليهم: «وكان الرأي أنَّ هذا النوع من النبوءات يعدُّ ضربا من الهذيان يعتري الكهنة في تلك المراكز التنبئية، فتنطلق ألسنتهم بأقوال تنبىء عما سيحدث في قابل الأيام.

وقد فَسَّر سقراط هذا الهذيان، بأنه هبة خاصة من السماء، ومنبع من أعظم النعم بين البشر»[1].

وكذب سقراط، فإنَّ هذا الهذيان وحي الشيطان لا وحي الرحمن، وهو نقمة تغضب الرحمن، وليس نعمة من الله.

واشتهر ـ أيضاً ـ في البلاد المصرية معبد (هليوبوليس)، وكان الناس يفدون إليه في كلِّ بلد لاستشارة كهنته في أهم أمورهم. والمعروف أنَّ الامبراطور الروماني (تراجان) أرسل قبل أن يشترك في حرب (برثيا) وفدا إلى هذا المركز لاستشارة كهنته في مصير هذه الحرب.

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ١٨.

ويذكر التاريخ أنَّ الكهنة أجابوا إجابة صامتة، وذلك بأن أرسلوا إلى (تراجان) غصن كرم مكسور دون أي تعليق أو شرح.

وقد قتل هذا الامبراطور في هذه الحرب وحمل جثمانه إلى روما[1].

٢ ـ كهان العرب

كان الكهان منتشرين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكانت لهم مكانة كبيرة عند العرب، وكان العرب يلجؤون إليهم لاستشارتهم في الأمور المعضلة، كما كانوا يستعلمون منهم عن أمور الغيب، والأحداث التي تقع في مقبل الزمان.

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «كان الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حيّ واحد، كهان ينزل عليهم الشيطان»[2].

وكانوا يتعاطون ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ الطب ومداواة المرضى، وقد أثبت هذا العرب في شعرهم، وفي هذا يقول أحد شعرائهم:

فقلت لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب

وقال الآخر:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا شفاك الله والله مالنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي.

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه تعليقا: انظر فتح الباري: ص ٢٥١/٨.

ولم تكن الكهانة والعرافة وقفا على الرجال عند العرب، بل مارستها النساء أيضا، وقد عرف من الكاهنات العربيات في الجاهلية ظريفة الخير كاهنة حمير، وسلمى الهمدانية، وفاطمة بنت مرّ الهمدانية، وعفراء حمير، وسجاح التي ادعت النبوة.

ومن أشهر كهان العرب في الجاهلية شقٌّ وسطيح، وخنافر بن التوأم الحميري، وسواد بن قارب الدوسي.

أخبـــار شـــق وســـطيح

سمي شقٌّ بهذا الاسم لأنه ـ كما يقولون ـ كان كشقٍّ إنسان، وأما سطيح فكان كالبضعة الملقاة على الأرض فكأنه سطح عليها.

وقال ابن عباس: «لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحا، إنما كان لحما على وضم، ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه وكفيه، وكان يُطْوَى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه. وقال غيره: إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس»[1].

واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسّان.

وشقّ هو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو بجيلة وخثعم.

---

(١) البداية والنهاية: ٢٥١/٨.

ومن أخبار شقّ وسطيح أنَّ ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته، وفظع[1] بها فلم يَدَعْ كاهنا، ولا ساحرا، ولا عائفا[2] ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقٍّ، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. قال: أفعل، رأيت حممه[3]، خرجت من ظلمه[4]، فوقعت بأرض تهمة[5]، فأكلت منها كل ذات[6] جمجمة.

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين[7] من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش[8]، فلتملكن ما بين أبين[9] إلى جرش[10]!

---

(١) فظع بالأمر: كعلم إذا اشتدَّ عليه.
(٢) العائف: الذي يزجر الطير.
(٣) الحممة: الفحمة، وإنما أراد فحمه فيها نار.
(٤) من ظلمة: أي من ظلام، يعني من جهة البحر؛ يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان
(٥) التهمة: الأرض المتصوبة نحو البحر.
(٦) قال «كل ذات» لأن القصد إلى النفس والنسمة، ويدحل فيه جميع ذوات الأرواح
(٧) الحرة: أرض فيها حجارة سود متشيطة
(٨) يقال إنهم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.
(٩) أبين (بفتح أوله وبكسر).
(١٠) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة): من محاليف اليمن من جهة مكة، وقيل: هي مدينة عظيمة باليمن، وولاية واسعة.

فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين.

قال: أفيدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين.

قال: ومن يلي من ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذي يزن[1]، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومٌ يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحقٌّ ما تخبرني؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شقّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قاله سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت حممه، خرجت من ظلمه، فوقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كلُّ ذات نسمة

---

(١) المعروف: سيف بن ذي يزن، ولكنه جعله إرما، إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك، وإما أن يكون أراد تشبيهه بعاد إرم في عظم الخلق والقوة.

قال: فلما قال له ذلك، وعرف أنهما قد اتفقا وأنَّ قولهما واحد إلا أنَّ سطيحا قال: «وقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كلَّ ذات جمجمة». وقال شق: «وقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسمه».

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئا، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كلِّ طفلة[1] البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقُّ، إنَّ هذا لنا لغائط موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شآن، ويذيقهم أشدَّ الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني، ولا مدن[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن

قال: أفيدوم سلطانه، أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحقِّ والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحقّ ما فيه أمض[3].

---

(١) الطفلة: الناعمة الرخصة.

(٢) المدن: «بصيغة اسم الفاعل» المقصر في الأمور أو الذي يتبع خسيسها. وفي ابن الأثير «مزن» من ازنته بكذا: أي اتهمته به.

(٣) ما فيه أمض: يعني شكّا بلغة حمير.

فوقع في نفس ربيعة بن نضر ما قالا. فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة[1].

وينقل الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) عن الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه (هواتف الجان) بإسناده إلى مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه أنَّ إيوان كسرى ارتج، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادهم. فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أن لا يستر ذلك عن مرازبته، فجمعهم، ولبس تاجه، وجلس على سريره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك.

فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران، فازداد غما إلى غمه، ثمَّ أخبرهم بما رأى وما هاله، فقال الموبذان: وأنا ـ أصلح الله الملك ـ قد رأيت هذه الليلة رؤيا، ثم قص عليه رؤياه في الإبل. فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب، وكان أعلمهم من أنفسهم.

وَتَذْكُر القصة أنَّ كسرى أرسل إلى النعمان بن المنذر فوجَّه إليه النعمان رجلا عليما اسمه عبدالمسيح، فلما قصَّ عليه كسرى ما رأى هو والموبذان، أشار باستخبار سطيح، فأرسله كسرى إليه، فأدركه الرسول وهو في حال الاحتضار، فاستعلمه عبدالمسيح عما جاء من أجله بأبيات من الشعر، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: عبدالمسيح، على جمل مشيح، أتى سطيح، وقد أوفى على

---

(١) السيرة لابن هشام: ١/١٥ ـ ١٨ وراجع في هذه القصة البداية والنهاية: ٢/١٦٢.

الضريح، بعثك ملك ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاده.

يا عبدالمسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاصت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما. يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكلما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه[1].

ويذكر ابن كثير أيضا أنَّ سطيح قدم مكة فاستقبله جماعة من رؤساء أهلها وسألوه عما يكون في آخر الزمان، فقال لهم: خذوا مني ومن إلهام الله إياي: أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم، سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم، ويتبعون الروم، ويقتلون العجم، ويطلبون الغنم.

ثم قال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد، ليخرجن من هذا البلد، نبي مهتد، يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث والفند، يبرأ عن عبادة الضدد، يعبد ربا انفرد، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا، من الأرض مفقودا، وفي السماء مشهودا، ثم يلي أمره الصديق، إذا قضى صدق، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، بجرب غطريف، قد أضاف المضيف، وأحكم التحنيف، ثمَّ ذكر عثمان ومقتله، وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس، وما بعد ذلك من الفتن والملاحم.

قال ابن كثير: ساقه ابن عساكر بسنده إلى ابن عباس بطوله[1].

---

(١) انظر القصة بتمامها في (البداية والنهاية): ٢/٢٦٨

المطلب الخامس
مصادر الغيب الذي توحي به الشياطين

الشياطين الذين يوحون بأخبار الغيب للكهان أكثرهم كاذبون فيما يوحون به، وفي ذلك يقول رب العزة ﴿**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**﴾[1] ولذلك فإنَّ أخبار الكهان أكثرها كذب وافتراء، وكثير منها مخالف للحقيقة، وقد ظهر في كل عصر ومصر كذب هؤلاء الضالين المفترين الذين تنزل عليهم الشياطين.

ومن هذه المفتريات التي دونها التاريخ، وبقيت وصمة عار في جبين الكهان والمنجمين كذبهم في دعواهم أنَّ المعتصم لا يمكنه فتح مدينة عمورية قبل نضج التين والعنب، ونصح المنجمون المعتصم بعدم الخروج للحرب والقتال، ولكنَّ المعتصم لم يعبأ بأقوالهم وترهاتهم، وخرج متوكلا على رب العباد، وأكذب الله المنجمين، وأعزَّ المؤمنين، فقد فتح المسلمون تلك المدينة الحصينة، وكان الفتح استجابة لصرخة امرأة مسلمة أذلها الروم فصرخت: وامعتصماه.

وحضر الشاعر المبدع أبوتمام خليفة المسلمين في فتحه عمورية[2]، وخلَّد ذلك الفتح بقصيدة عصماء، عرض فيها لدجل المنجمين وكذبهم، ومما قاله في قصيدته:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح ... في متونهن جلاء الشك والريب

---

(١) البداية والنهاية: ٢/ ٢٧٠

(٢) عمورية: بلدة حصينة في الأناضول (تركيا اليوم). فتحها المعتصم في سنة (٢٢٢ هـ) راجع ابن الأثير في حوادث هذه السنة.

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب[1]
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب[2]
عجائبا زعموا الأيام مجفلة ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب[3]
وصيروا الأبراج العليا مرئية ... ما كان منقلبا أو غير منقلب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه ... لم يخف ما حلَّ بالأوثان والصلب
تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت ... أعمارهم قبل نضج التين والعنب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب
تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

ويذكر المؤرخون أنَّ المنجمين زعموا عند بناء بغداد أنَّ طالعها يقضي أنَّ لا يموت فيها خليفة، وشاع ذلك حتى هنأ المنصور بذلك بعضُ شعرائه في قوله:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ... أن الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها ... أن لا يرى فيها بموت إمام

وأكدَّ هذا القول في نفوس الناس موت المنصور بطريق مكة، وموت الخليفة المهدي بماسبذان، ثم الهادي بعساباذ، ثم الرشيد بطوس. ولكنَّ هذه

---

(١) الخميسان: الجيشان. والسبعة الشهب: هي الكواكب السبعة السيارة التي يعتمد عليها المنجمون.
(٢) النبع: شجر صلب تعمل منه السفن. والغرب: شجر هش. والمعنى أن أقوالهم ليست من الحقيقة في شيء.
(٣) الكوكب الغربي ذو الذنب: هو الكوكب المعروف بمذنب هالي، ويظهر في سمائنا كل ستة وسبعين عاما مرة. وآخر مرة ظهر فيها في عام (١٩٨٦م)

الفرية تهاوت، وبان كذبها عندما قتل بها المأمون الأمين بشارع باب الأنبار، وفي ذلك قال أحد شعراء ذلك الزمان:

كـذب المنجم في مقـالتـه التي ... نـطقت بـه كـذبـا على بـغـدان
قتـل الأمين بهـا لعمـري يقتضي ... تكـذيبهم فـي سـائـر الحسبـان

وقد مات بعد ذلك في بغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفي والناصر وغيرهم[1].

وزعم المنجمون أنَّ الدعوة لا تخرج في القاهرة عن الفاطميين إلى غيرهم وإن تداولتها الألسن العربية والعجمية، وهذا الزعم مبني على أنَّ نجوم طالعها كانت في غاية الاستقامة عند بنائها، وقد جمع القائد جوهر الصقلي المنجمين، وأمر كلَّ واحد منهم أن يحقق الرصد ويحكمه، وأمر البنائين ألا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه، وأن يكونوا على هيئة من التيقظ والإسراع حتى يوافقوا طالع الكوكب القاهر الذي هو زحل أو المريخ، ووضعت الأساسات عندما أمر المنجمون بذلك.

وقد تأكد زعم المنجمين عندما رأى الناس أنَّ أسد الدين شيركوه ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي أبقيا الدعوة للفاطميين بعد ملكهم لها، ولكن عندما صرف صلاح الدين الدعوة إلى بني العباس تبين للناس كذب المنجمين[2].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ علي بن أبي طالب عندما أراد المسير لقتال الخوارج عرض له منجم فقال: يا أمير المؤمنين لا تسافر، فإنَّ القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك. فقال علي: بل

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٦٧
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٦٨

نسافر ثقة بالله، وتوكلا على الله، وتكذيبا لك. فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سر به، حيث كان قتالهم بأمر النبي ﷺ[1].

ومن الكذبات الكبرى ما تنبأ به (جوهان ستوفلر) في القرون الوسطى أنَّ العالم سيجتاحه طوفان مدمر كطوفان نوح، فسارع الناس إلى بناء السفن ليعتصموا بها عندما يحين وقت الفيضان[2].

وتنبأ هؤلاء الدجالون في كثير من الأزمنة بنهاية العالم، وقد ذكر معظم المنجمين في وقتهم أنَّ هذه النهاية ستأتي في عام (٩٩٩ م) وقد أثرت هذه الأكذوبة في أهل أوروبا، فخرج الحجاج منها متوجهين إلى بيت المقدس أرض المحشر، وكانوا لكثرتهم يشبهون الجيش العرمرم، ويذكر المؤرخون أنَّ أولئك الحجاج باعوا جميع ما يملكونه من حطام الدنيا قبل أن يغادروا أوروبا في طريقهم إلى بيت المقدس.

وأهمل الناس في ذلك الوقت تشييد المباني العامة وإصلاحها، إذ ما الداعي إلى ذلك ونهاية العالم أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وكانت النتيجة أن أصاب التلف والدمار الكثير من هذه المنشآت العامة وتهدم أكثرها، ولم ينج من ذلك المصير المفجع الكنائس وبيوت العبادة.

لقد توجَّه إلى بيت المقدس الأمراء والفرسان ورجال الدين والعبيد يسيرون جميعا ومعهم أولادهم وأزواجهم ينشدون الأناشيد والترانيم وعيونهم متجهة إلى

---

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام: جـ ١ مسألة رقم ٢٣١

(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٨٣

السماء في خوف وتضرع ووجل يتوقعون في كل لحظة أن تنفرج السماء ويهبط منها المسيح[1].

وعندما ظهر كذبُ أدعياء الغيب لم يتوقف الناس عن تصديق مثل هذه الافتراءات، فلا يزال يظهر بين فترة وأخرى من يزعم أنَّ نهاية العالم ستحين في عام يحدده.

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٨٤

المطلب السادس

انتشار التنجيم والكهانة في هذه الأيام[1]

مع بداية كل عام ... يُطِلُّ علينا المنجمون، والدجالون ومدعو قراءة الغيب، بسيل متضارب من تنبؤاتهم وتوقعاتهم عما سيحدث في العالم خلال عام سيأتي ... ويَدَّعون بأنَّ هناك حربا ستنشب بين بلد كذا وبلد كذا .. وأن الفنانة «الفلانية» سَتُطَلِّق، والمنطقة «الفلانية» ستشهد قلاقل.

ويمضي الكثيرون منهم في دجلهم ويحددون مستقبل الأبراج .. فأصحاب برج الجدي حظهم سعيد .. أما أصحاب برج الجوزاء تعيس .. وهناك أيام نحس، وأيام سعادة، إلى غير ذلك من سيل الأوهام.

ففي أوروبا مثلا ...، وبجانب استقبال بلدانها للسياح العرب بغرض العلاج، أو العمل والاستشفاء، هناك وظيفة أخرى ظهرت حديثا ... واستطاع «النصابون» الخواجات استثمارها في جذب الدولارات الموجودة في جيب السائح العربي .. حيث أصبح من الطبيعي جدا أن تجد الكثير من المكاتب التي تدعي تخصصها في قراءة المستقبل من خلال الكف أو النجوم أو أوراق اللعب أو حتى الفنجان.

وأعلن في أوروبا أيضاً عن استعانة الرئيس الأمريكي (ريجان) وزوجته (نانسي) بالمنجمة «جوان كويجلي» في تحديد جدول الأعمال.. واتخاذ بعض القرارات، مما كان له تأثير كبير في ازدياد شعبية المنجمين بوجه عام .. وكيف لا، ورئيس أكبر دولة في العالم المتحضر.. يلجأ إلى الاستعانة بالمنجمين !

---

(١) هذا الموضوع مأخوذ من مقال قيم نشرته جريدة المسلمون في عددها (٢٠٥) ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ٦ يناير ١٩٨٩م.

لقد استغلَّ الكثيرون منهم هذه الفرصة، وعلّقوا صورة (ريجان ونانسي)، والعرافة على واجهات محلاتهم، والأكثر من ذلك أنَّ كتاب «رونالد ريجان» (من وول ستريت إلى البيت الأبيض).. لم يكشف لجوء ريجان ونانسي وحدهما للمنجمين.. ولكن كشف النقاب أيضا عن لجوء الكثير من رؤساء الدول ـ الحاليين والسابقين ـ إلى الاستعانة بالعرافين.

لقد اتضح أنَّ (ريجان) ليس الوحيد الذي لجأت زوجته إلى استشارة العرافين بمستقبل تحركاته بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال الشهيرة على يد الشاب المهووس، فقد تبين أنَّ راجيف غاندي فعل ذلك عندما يئس من موجة الجفاف الشديد التي حلت ببلاده .. كما استشار السياسيون في تايوان العارفين بالنجوم لتحديد أفضل الأيام لدفن الرئيس الراحل «شيانج شنج كو».

والمعروف ـ أيضا ـ أنَّ الرئيس الأندونيسي «سوهارتو» كان يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين .. بل إنَّ أحدهم كان يقيم بصفة شبه مستمرة في قصر الرئاسة.

كما أنه من المعروف أنَّ أنديرا غاندي كانت تستشير النجوم، وكذلك رئيس الوزراء السابق للهند موراجي ديساي.

وحديثا عرف عن الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان أنه استشار قارىء طالع في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨١م.

ولأنَّ «الخواجات» تعلموا أن يبيعوا الوهم ما دام هناك مشتر سيدفع وبالعملة الصعبة، فقد ركب البعض الموجة وصمم منجما خاصا الكترونيا .. وهذا العراف (الالكتروني) ـ الظريف ـ يحدد الزواج السعيد والفاشل ...، ويختار لك الزوجة المناسبة، وهو في حجم الآلة الحاسبة، وتقوم فكرته على وجود دورة

(بيولوجية)، ودورة نفسية، وأخرى عصبية تبدأ بمولد الإنسان .. فإذا أدخلت تاريخ ميلادك يقوم «العراف الألكتروني» بحساب ثلاث دورات لك احداها كل ٩٠ يوما، والأخرى كل شهر، والأخيرة متغيرة .. ويحدد لك بناء على ذلك أيام التكامل العصبي، والاستقرار الذهني.. بحيث تستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأمورا أخرى كثيرة يحددها لك «الدجال الألكتروني» !

وفي فرنسا تكونت رابطة تجمع أبناء مهنة التنجيم والمهن الأخرى المرتبطة بها، ويدعي أعضاء هذه الرابطة أنَّ التنجيم علم للتفسير أكثر من كونه علما للتنبؤ.. وأنهم يستطيعون معرفة الماضي بتذبذبات الجسم والأمر طبعا لا يقتصر على الدول المتقدمة ..، فالدول العربية تعرف هي الأخرى المنجمين..، فدولة مثل المغرب بها ما لا يقل عن ١٦ ألف قارئة كف !

وبيوت السحرة والمشعوذين ومحلاتهم تتمركز في الأحياء الفقيرة من القرى والمدن المغربية..، كذلك الأمر في مصر..، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من قارىء كف .. أو مدعي معرفة الغيب، الذي يستطيع «فتح المندل» وإحضار التائهة !

ويدعي المنجمون أنَّ هناك علاقة تربط بين الأجسام السماوية، والأجسام البشرية . وأن هذه العلاقة إذا فسرناها نستطيع معرفة حاضر الإنسان ومستقبله.. بل وماضيه ! فوضع الشمس والقمر والكواكب ساعة ميلاد الشخص يكون له علاقة واضحة بشخصيته وحياته، والمنجم يقوم بعمل تنبؤاته ودجله عن طريق عمل خرائط الأبراج .. التي يتحدد فيها أماكن النجوم والكواكب وتواريخ ميلاد كل واحد من البشر وهي مقسمة إلى ١٢ برجا، وكل برج له تاريخه وله علامته المميزة.

ومن آخر الهراءات والادعاءات التي تدلُّ على جهل المنجمين وأنَّ ما يصدر عنهم ما هو إلا خزعبلات . . تلك التنبؤات التي أعلنها هؤلاء الدجالون . . للعام الذي انتهى، (عام١٩٨٨) فماذا قالوا؟

جاء على صدر تنبؤاتهم ـ كما هي العادة في الأعوام الأخيرة ـ أن عام ٨٨ سيشهد لا محالة طلاق الأميرة ديانا، والكونتيسة «صوفيا»، وادعت منجمة أخرى تدعى «باربرا» أنَّ الأميرة ديانا ستصاب في حادث سيارة، وسوف تجري لها جراحة تجميل، وبالطبع لم يحدث شيء من هذا.

كما توقع منجم مجلة «جلوب» أنَّ الأميرة كارولين سترزق بأربعة توائم، وتنبأ دجال آخر بفضيحة في إمارة موناكو، ولم نسمع عن شيء حدث من هذا الدجل.

وأكدت دجالة تَدَّعي قراءة الغيب أنَّ الرئيس فيدل كاسترو سينجو من الموت بأعجوبة. الطريف أنها تنبأت بأنَّ الزعيم السوفييتي جورباتشوف سوف يهجر زوجته «ريسا»، وينجذب إلى مضيفة شقراء عمرها ١٩ سنة، وكلُّ هذا لم يحدث.

وقد أضافت العرافة نفسها أنَّ جاكسون وديانا روس سينجوان من حريق هائل في نيويورك، و«شطحت» عرافة تدعى جين ديكسون بتنبؤاتها وادعت أنَّ العقد الثامن سيشهد دمار البشرية، وإعادة بنائها بصورة أكثر روحية، وأنَّ شخصا من الشرق الأوسط سوف يحدث ثورة في العالم !

ليس هذا فحسب، بل ادعى أحد المنجمين أنَّ دولة غنية بالبترول في الشرق الأوسط ستعلن الحرب على الصين في شهر مارس، ولا أعلم لماذا خمن المنجم هذا الكلام، كما أنه قال بوجود مرض جلدي غامض في كلِّ أنحاء

العالم، وكعادة المنجمين دائما يقدمون في تنبؤاتهم أشياء أشبه بالنكات، فقد قال أحد المنجمين: إن انتخابات الرئاسة الأمريكية ستشهد انسحاب سياسي لامع بعد نشر إحدى المجلات لصورة له وهو يرتدي زي النساء، وبالطبع لم يحدث أيضا شيء من هذا الدجل !

ولو عدنا قليلا إلى الوراء إلى عام ١٩٨٣ م، نجد أنَّ أكثر من منجم ـ حسبما قالت لهم حساباتهم الفلكية الدقيقة التي لا تخطىء ـ تنبأوا بأنَّ ملكة بريطانيا سوف تتنازل عن العرش لابنها ولي العهد الأمير تشارلز، كما أنَّ الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران سيضطر لترك السلطة لمرضه ! كما أنَّ الاتحاد السوفيتي سيغزو إيران.

فهل تحقق شيء من هذا؟

كما تنبأت الإيطالية الفلكية «رافيلا جيرادو» بمحاولة اغتيال لراجيف غاندي، وأطفاله الثلاثة.

أما أغرب التنبؤات التي ساقها لنا المنجمون فهي أنَّ نهاية العام ستكون بحلول عام ١٩٨٦ الذي مضى عليه الآن سنتان. قالوا في نبوءتهم الكاذبة أنَّ الأرض ستميل من محورها فجأة، فتختفي قارات بأكملها وتحرق البراكين الأرض بمن عليها، بسبب ظهور المذنب هالي الذي يظهر كل ٧٦ سنة مرة، وهو مذنب خطير على سكان الأرض، والحمدلله مرت سنة ٨٦ وتلتها ٨٧ ثم ٨٨ ولم يحدث شيء من هذه المخاوف والخزعبلات !

ويبدو أنَّ المنجمين يتنبأون بأشياء تتفق وطبيعة التوجهات السياسية، فقد ذكر المنجمون الأمريكيون أن عام ١٩٨٧ سيشهد ـ لا محالة ـ إنهيار حكومتي كوبا ونيكاراجوا، بعد وفاة كاسترو، وأنَّ أطلال القارة المفقودة «اطلنتس» في شمال

الأطلسي ستظهر بعد زلزال عنيف، ليس هذا بل إن القمر سيصطدم بنيزك ضخم، يصبح بعدها حجمه نصف هذا الحجم! وأنَّ عام ١٩٨٧ سيشهد خروج إنسان من «التبت» لنجدة الجنس البشري، فهل حدث أي شيء من هذا الدجل؟

استغلال الساسة للمنجمين والكهان

كان السياسيون ولا يزالون يستغلون المنجمين والكهان لتنفيذ مخططاتهم، وتحقيق أهدافهم. ولذلك فإنَّ كثيرا من هؤلاء المنجمين يُشْتَرَوْنَ من رجال الحكم في بعض الدول، ويطلبون من المنجمين أن يؤثروا على من يؤمن بهم ويصدق بنبوأتهم من الزعماء وأتباعهم، وكثيرا ما يكون لنبوءات السحرة التي صنعها الساسة المحنكون الأثر الكبير في تدمير الشعوب، وهزيمة الجيوش، وتضليل الناس حتى لا يعرفوا الحقائق.

وقد جاء في خبر بثته (كونا) من لندن، ونشرته جريدة القبس بتاريخ ٨٨/٥/٢٣ أنَّ الرئيس الأمريكي (رونالد ريجان) لم يكن الوحيد الذي استخدم نصائح المنجمين في شؤون الدولة.

وقال عميل سابق لوكالة المخابرات المركزية الأميركية في رسالة إلى صحيفة «التايمز» أنَّ الوكالة حاولت التأثير على زعماء العالم الثالث بتنبؤات مزيفة.

وكتب (مايلز كوبلاند) الذي أشرف على قسم العمليات العالمية أنَّ رئيس جمهورية غانا (كوامي نكروما) ورئيس جمهورية أندونيسيا أحمد سوكارنو والزعيم الألباني محمد شيحو أمكن التأثير عليهم بنجاح من خلال خرائط للنجوم أعطتها لهم وكالة المخابرات المركزية الأميركية.

وقال (كوبلاند) وفي الحقيقة أمكن إقناع (نكروما) بزيارة الصين حتى يكون بعيدا عن الساحة عندما يقوم الجنرال (انكراه) بانقلابه والامساك بزمام السلطة.

وقد أصدر مدير المخابرات المركزية الأميركية في ذلك الوقت (جون فوستر دالاس) أمرا بإغلاق ذلك القسم عندما علم أنَّ خرائط مماثلة كانت في طريقها إلى موظفي الرئيس في البيت الأبيض.

وفي رسالة أخرى إلى صحيفة التايمز قال خبير الدعاية البريطاني (سير بيتر تينانت) أنه استخدم عمل المنجمين لكي يدمر القوات الألمانية في النرويج والدانمرك خلال الحرب العالمية الثانية.

وقد تضمنت نشرات «اسأل النجوم» التي وزعها عملاء بريطانيون تعليمات عن أمراض مزورة مثل التيفوئيد والدوزنتاريا لتوقف الجنود الألمان عن الخدمة في الجبهة الروسية.

المطلب السابع
السر في صدق الكهان في بعض الأحيان

قد يقال نحن معكم في أنَّ أكثر أخبار الكهنة والمنجمين والعرافين كذب وافتراء، ولكننا سمعنا ورأينا بعض أخبارهم وقعت وصدقت فمن ذلك أن منجما يُدعى (تيخو) تنبأ في عام (١٥٦٣) بالطاعون الكبير الذي اجتاح أوروبا عام (١٦٦٥م)[1].

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٧٨

وتنبأ منجم يدعى (جون دي) بموت (جوستاف أدولف) في العام الذي توفى فيه[1].

وتنبأ (ليللي) بالطاعون وبالحريق الذي اجتاح لندن عام (١٦٦٦) قبل وقوعهما بعدة سنوات[2].

وتنبأ (نستراداموس) وهو من أشهر المتنبئين في القارة الأوروبية بنبوءات كثيرة، ولا يزال كتابه (القرون) يرجع إليه في معرفة بعض النبوءات والأحداث التي تقع في هذا العالم.

وقد كشف لنا القرآن الكريم كما كشفت السنة النبوية عن السر في صدق هؤلاء المتنبئين في بعض الأحيان.

فالنصوص تخبرنا بأنَّ الشياطين لديهم القدرة على استراق أخبار السماء التي تتحدث عما سيقع في هذا الكون قبل حدوثه، وكان هذا كثيرا قبل البعثة النبوية، فلما بعث الرسول ﷺ حرست السماء، وقلت قدرة الشياطين على استراق السمع، وقد حدثنا ربنا عن الجن أنهم قالوا: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[3] وقال: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[4] وقال ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾[5].

---

(١) التنبؤ بالغيب: ص ٧٨
(٢) التنبؤ بالغيب: ص ٨٢
(٣) سورة الجن. ٩
(٤) سورة الحجر: ١٨
(٥) سورة الملك: ٥

وقد جاءت النصوص الحديثية موضحة وشارحة للنصوص القرآنية، ففي صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا[2] لقوله كأنه سلسلة على صفوان[3]، فإذا فزع عن قلوبهم[4]، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا ـ للذي قال ـ: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فَحَرَّفها[5] وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب[6] قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قال لنا يوم كذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: (ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟).

قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم. ومات الليلة رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: (فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته،

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم). فتح الباري: ٥٣٧/٨ ورواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ: (٣٦١/٥) ورقم الحديث: (٣٢٢٢). وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح. واللفظ الذي سقناه للبخاري.

(٢) خضعانا: الخاضع: المطيع المنقاد الذليل، وخضعانا جمعه.

(٣) الصفوان: الحجر الأملس.

(٤) فزع عن قلوبهم: أي كشف عنها.

(٥) فحرفها: أي أمالها عن جهتها المستقيمة.

(٦) الشهاب: الشعلة من النار، وأراد به الذي ينقض في الليل شبه الكوكب.

ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمرا سبَّح حملة العرش، ثمَّ سبح أهل السماء الذين يلوونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلوون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقّ، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون)[1].

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء).

قالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانا بالشيء فيكون حقًّا؟

فقال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الحقِّ يخطفها[2] الجني، فيقذفها[3] في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة).

زاد في رواية: (فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة[4] الدجاجة).

وفي رواية: (فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة).

وللبخاري في رواية قال: (الملائكة تحدّث في العنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في السماء، فتسمع الشياطين الكلمة، فتقرها في أذن الكاهن كما تُقَرّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة)[5].

---

(١) صحيح مسلم: ٤/١٧٥٠. ورقمه: ٢٢٢٩. ورواه الترمذي في سننه: ٥/٣٦٢. وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) يخطفها: أي يسلبها بسرعة.

(٣) يقذفها: يلقيها إليه.

(٤) القرقرة: ترديد الكلام في أذن الأصم حتى يفهم، ومن رواه كقَرِّ الدجاجة أراد صوتها إذا قطعته، يقال: قرت الدجاجة تقر قرارا وقريرا إذا قطعت صوتها، فإن رددته قيل: قرقرت قرقرة.

(٥) جامع الأصول لابن الأثير: ٥/٦٣.

قد يقال هذا كان قبل البعثة أما بعد البعثة النبوية فقد مُنِعَتْ الشياطين من استراق السمع، والجواب: أنَّ الشياطين لم تمنع منعا باتاً، ولكنَّ السماء زيد في حراستها، فقلَّ استراقهم للسمع.

يقول ابن حجر[1]: «كان إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًا، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت الشهب، فبقي من استراقهم ما يخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[2].

(١) فتح الباري: ١٠/٢١٧.
(٢) سورة الصافات: ١٠.

المبحث الثالث
التطـير والتشـاؤم

المطلب الأول
تعريف التطير والتشاؤم

التطير هو التشاؤم، واشتقاقها من الطير، وكانت العرب تتطير من الغراب والأخيل ونحوهما من الطير وتتشاءم به، وترى أنَّ ذلك مانع من الخير، وكان الواحد من أهل الجاهلية إذا خرج لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمرَّ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير فيعتمدها، وكانوا يسمون الطائر أو الحيوان الذي يأخذ ذات اليمين إذا أَثَرْتَه بالسانح، ويستبشرون به، ويعدونه من اليمن، ويجعلونه دليلا على أن سفرهم ناجح وحاجتهم مقضية.

ويسمون الذي يأخذ ذات الشمال بالبارح ويتشاءمون منه، وقد يرجع الواحد منهم عن المضي في السفر، أو يتوقف عما شرع فيه من عمل إذا رأى مثل ذلك.

وذكر البيهقي في شعب الإيمان ما ملخصه: «كان التطير في الجاهلية في العرب إزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة. وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب، وبمرور الظباء، فسموا الكلَّ تطيرا، لأنَّ أصله الأول.

قال: وكان التشاؤم في العجم، إذا رأى الصبي ذاهبا إلى المعلم تشاءم، أو راجعا تيمن، وكذا إذا رأى الجمل موقرا حملا تشاءم، فإن رآه واضعا حمله

تيمن، ونحو ذلك، فجاء الشرع برفع ذلك كله»[1].

والتطير كان قديما في الأمم، فقد أخبرنا الله أنَّ فرعون وقومه تطيروا بموسى ومن معه ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾[2]. وتشاءم قوم صالح بصالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[3] وتشاءم أهل القرية برسلهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[4].

وكان الرد عليهم جميعا أنَّ الشر ما جاءهم إلا من قبل أنفسهم بكفرهم وعنادهم وإصرارهم سنن الله في الحياة ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[5]، ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[6].

وللأمم في التشاؤم من الأيام أو الساعات أو الأعداد شيء كثير وعجيب، فالرافضة كما يذكر ابن تيمية «يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك، لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنّة»[7].

وكثير من الناس في الغرب يتشاءمون برقم ثلاثة عشر، ولذلك حذفته بعض شركات الطيران في ترقيم المقاعد.

وكثير من أهل بلادنا يتشاءمون بنعيق البوم والغراب.

---

(١) راجع: جامع الأصول: ٦٢٨/٧. وشرح النووي على مسلم: ٢١٨/٤. وفتح الباري: ٢١٣/١٠.
(٢) سورة الأعراف: ١٣١.
(٣) سورة النمل: ٤٧.
(٤) سورة ياسين: ١٨.
(٥) سورة الأعراف: ١٣٠.
(٦) سورة يس: ١٩.
(٧) منهاج السنة: ١٠/١.

المطلب الثاني
خطورة التطير

عدّ الرسول ﷺ الطيرة من الجبت، والجبت هو السحر، ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (العيافةُ والطيرة والطرق من الجبت)[1]، والجبت السحر، فسره بذلك عمر بن الخطاب، ورواه عنه البخاري تعليقا[2].

وقد حذّر الإسلام من الطيرة ونهى عنها، ففي سنن أبي داود وسنن الترمذي عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن يذهبه الله بالتوكل)[3]. وقوله: (وما منا) في هذا الكلام محذوف تقديره: وما منا إلا ويعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصارا واعتمادا على فهم السامع، وقد جاء في كتاب الترمذي أنَّ هذا الكلام من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث»[4].

وفي قوله (وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى أنَّ من وقع له ذلك فسلَّم لله، ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك.

وإنما جعل التطير شركا لاعتقادهم أنَّ ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضررا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، وهذا الاعتقاد منافٍ لما قرره الحق ـ تبارك وتعالى ـ في مثل قوله:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطب: ٤/٢٢. ورقمه: ٣٩٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، فتح الباري ٨/٢٥١. وللعلماء في تفسير الجبت أقوال أخرى. انظر فتح الباري (١٠/٢٥٢).

(٣) رواه أبو داود: ٤/٢٢ ورقم الحديث: ٣٩١٠. ورواه الترمذي (٤/١٦٠) ورقم الحديث ١٦١٤، وقال: حديث حسن صحيح. واللفظ لأبي داود.

(٤) جامع الأصول: ٧/٦٣٠.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[1] فالله هو الضار النافع، وهذه الطيور لا تعلم الغيب، وسنوحها لا ينفع، وبروحها لا يضر.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرىء من التوكل على الله سبحانه، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[3] و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4].

فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفا لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أرب، ويقيض له الشيطان من يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بسبب ذلك وخسر الدنيا والآخرة.

وكم ضرت الطيرة العباد في دنياهم ومنعتهم من خير كثير. فكم رأينا من أهل بيت نكصوا عن تزويج كريمتهم بعد الخطبة والاتفاق بكلمة سمعوها أو خيال رؤي لهم في المنام، فنسوا البنت وأضاعوا عليها فرصة الزواج.

وكم رأينا من تاجر قعد عن السفر، وأهمل تجارته اعتمادا على تشاؤم أو نبوءة دجال كاذب.

---

(١) سورة يونس: ١٠٧.
(٢) سورة الفاتحة: ٤.
(٣) سورة هود: ١٢٣.
(٤) سورة الشورى: ١٠.

المطلب الثالث

التطير لا يقوم على أسس صحيحة

الطيرة لا تقوم على أسس صحيحة، إنما تقوم على توهمات وتخيلات تقع في القلب، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»(١).

فقد نفى أمورا كان يعتقدها أهل الجاهلية، فكانوا يظنون أنَّ المريض يعدي السليم بنفسه، كما كانوا يعتمدون في معرفة عواقب الأمور على زجر الطير. وقوله: «لا هامة» نفي لما كانت العرب تعتقده من أنَّ عظام الميت وروحه تنقلب هامة تطير.

وقوله: (لا صفر) «تعني لما كان عليه أهل الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر(٢)، ويقولون هو شهر الدواهي، فنفى ذلك ﷺ وأبطله، وأخبر أنَّ شهر صفر كغيره من الشهور لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر، وكذلك الأيام والليالي والساعات لا فرق بينها، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون بيوم الأربعاء، ويتشاءمون بشهر شوال في النكاح فيه خاصة، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «تزوجني رسول الله ﷺ في شهر شوال فمن كان أحظى مني»(٣).

وقال أبو داود حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا بقية. قال: قلت لمحمد يعني ابن رشد قوله: «هامه» كانت أهل الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. قلت: فقوله: «صفر». قال سمعت أنَّ أهل الجاهلية يستشئمون بصفر. فقال النبي ﷺ: (لا صفر)(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب لا صفر. فتح الباري: (١٠/١٧١) ورواه مسلم: ٤/١٧٤٣ ورقم الحديث: ٢٢٢٠.

(٢) فسر البخاري الصفر المنفي بأنه داء يأخذ بالبطن. وهذا قول في تفسير الحديث.

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/١٦٧.

(٤) سنن أبي داود: ٤/٢٤.

وقد أراد بعض الذين يتشاءمون ببعض الأيام أو الساعات الاستدلال على صحة ذلك بقوله تعالى في وصف العذاب الذي نزل بقوم عاد: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[1] وبقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[2]. قالوا: إنَّ القرآن يرشد في هذه الآيات إلى أنَّ في الأيامَ نحسا وسعودا.

ويكفي في الردِّ على هؤلاء - كما يقول الألوسي. أنَّ حادثة عاد استوعبت أيام الأسبوع كلها، قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾[3] فإن كانت نحوسة الأيام لذلك، فأي أيام الأسبوع خلا منها؟

والحق أنَّ كلَّ الأيام سواء، ولا اختصاص ليوم بنحوسة، ولا لآخر بسعد وأنه ما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص، ونحس على آخر باعتبار ما يقع فيها من الخير على هذا، والشر على ذاك، فإن استنحس يوما من الأيام لوقوع حادث فيه فليستنحس كلَّ يوم لما يقع في الأيام من أحداث، وما أولج الليل في النهار، والنهار في الليل إلا لإيلاد الحوادث، ولا تأثير لما يقع فيها من أحداث، ولا شأن للوقت أو المكان أو الأشياء في نحوسة أو سعود.

المطلب الرابع
علاج التطير

قد يقول قائل: إنَّ الإنسان قد لا يستطيع أن يدفع ما يقع في نفسه من التشاؤم. والجواب: أنَّ المطلوب أن لا يتابع المسلم هذه الوسوسات التي يجدها في نفسه، ففي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله: «كنا نتطير» قال: (ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم)[4].

---

(١) سورة القمر: ١٩.
(٢) سورة فصلت: ١٦.
(٣) سورة الحاقة: ٧.
(٤) صحيح مسلم: ١٧٤٨/٤.

وثبت في سنن أبي داود عن بريدة أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بِشْر ذلك[1] في وجهه، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي ذلك في وجهه»[2].

وعلاج التطير كما أخبر الرسول ﷺ أن لا يصدنا عما عزمنا على فعله، وأن نمضي مستعينين بالله، متوكلين عليه، وأن نقول كما ثبت في بعض الآثار: «اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[3].

وروى أحمد في مسنده وابن السني بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَدَّتْهُ الطيرةعن حاجته فقد أشرك).

قالوا: فما كفارة ذلك؟

قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)[4].

المطلب الخامس
الشؤم في ثلاث

فإن قيل: ما وجه التوفيق بين النهي عن الطيرة، وبين ما ثبت في بعض الأحاديث أنَّ الشؤم في ثلاث: الدار، والمرأة، والفرس، كقوله ﷺ: في الحديث

---

(١) البِشر طلاقة الوجه وأمارات الفرح التي تظهر على الإنسان عند رؤية ما يسر سماعه.
(٢) سنن الترمذي: ٤/٢٥. ورقم الحديث: ٣٩٢٠.
(٣) هذا حديث رواه أبو داود في سننه، وفي إسناده مقال، ولذلك لم ننسبه إلى الرسول ﷺ.
(٤) النهج السديد ١٦٣.

الذي يرويه عبدالله بن عمر: (لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار).

وفي رواية: «ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ فقال: (إن كان الشؤم ففي الدار والمرأة والفرس)»[1].

قال النووي: «اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة هو على ظاهره، وأنَّ الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية «إن لم يكن الشؤم في شيء» وقال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يسكنها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة.

وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يُغْزى عليها، وقيل: حِرَانها وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه، وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة.

واعترض بعض الملاحدة بحديث «لا طيرة» على هذا، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأنَّ هذا مخصوص من حديث لا طيرة إلا في هذه الثلاث.

قال القاضي: قال بعض العلماء: الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام:

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر جامع الأصول: ٦٣١/٧.

أحدها: مالم يقع الضرر به، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وينكر الشارع الالتفات إليه، وهو الطيرة.

والثاني: ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه، ونادرا لا متكررا، كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه.

والثالث: ما يخصُّ ولا يعمُّ كالدار والفرس والمرأة، فهذا يباح الفرار منه[1].

والذي حققه العلامة ابن القيم أنَّ «إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة، وإنما غايته أنَّ الله ـ سبحانه ـ قد يخلق أعيانا مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم وشر، وهذا كما يعطي الله سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدا مشؤوما يريان الشرَّ على وجهه، وكذلك ما حصله العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

والله ـ سبحانه ـ خلق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسا ينحس بها من قاربها، وكلُّ ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة لون.

---

(١) شرح النووي على مسلم: ٢٢١/١٤.

المطلب السادس
نماذج من شؤم الديار والمراكب

وقد صحَّ في سنن أبي داود عن أنس أنَّ رجلا قال: يا رسول الله، إنا كنا في دار، كثر فيها عددنا، وكثر فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى، فقلَّ فيها عددنا، وقلت فيها أموالنا؟.

فقال رسول الله ﷺ: (ذروها ذميمة)[1].

وفي الموطأ عن أبي سعيد قال: «جاءَت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: دار سكناها، والعدد كثير، والمال وافر، فقلَّ العدد وذهب المال؟

فقال: (دعوها ذميمة)»[2].

يقول ابن الأثير في قوله: «دعوها ذميمة» أي اتركوها مذمومة، وإنما أمرهم بالتحول عنها إبطالا لما وقع في نفوسهم من أنَّ المكروه إنما أصابهم بسبب الدار وسكناها، فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم، وزال ما خامرهم من الشبهة والوهم الفاسد والله أعلم[3].

الطائرة المشؤومة

ومن شؤم المراكب ما حدث لطائرة ركاب ضخمة بأربعة محركات من طراز «لوكهيد كونستلليسن» ففي شهر يوليو عام ١٩٤٥ بدأت سلسلة النحس بالنسبة للطائرة بحادث وقع ضحيته أحد عمال الصيانة، إذ اقترب العامل من أحد

---

(١) رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٦. ورقم الحديث: ٤/٢٦.
(٢) رواه مالك في موطئه.
(٣) جامع الأصول: ٧/٦٤١.

محركات الطائرة لتنظيفه فدار المحرك وقتله، وبعد ذلك بعام في ٩ يوليو ١٩٤٦ مات قائد الطائرة الكاتب آرثر لويس بالسكتة القلبية وهو يجلس في كابينة القيادة بينما كانت الطائرة تعبر الأطلنطي، ثم بعد عام بالضبط في ٩ يوليو ١٩٤٧ انفجر أحد محركات الطائرة بعد إقلاعها بقليل، وشب حريق في غرفة القيادة كاد يؤدي إلى كارثة لولا أن تمكن الطيار ومساعده من الهبوط بمعجزة، ومرَّ العام التالي ١٩٤٨ بلا حوادث، ولكن في ١٠ يوليو ١٩٤٩ تحطمت الطائرة بالقرب من شيكاغو وقتل جميع من فيها.

السيارة المشؤومة

ومن الأمثلة الشهيرة لنحس السيارات ما حدث لسيارة الأرشيدوق (فرانسيس فرديناند) ولي عهد النمسا والمجر الذي اغتاله طالب صربي في مدينة سيراجيفو في عام ١٩١٤ أثناء ركوبه سيارته، وماتت زوجته معه في الحادث، وهو الحادث الذي أشعل نيران الحرب العالمية الأولى، وبعد قيام الحرب بقليل حاز السيارة الجنرال «بوتيوريك» قائد جيش النمسا، وبعد أسابيع قليلة لحقت به هزيمة ساحقة في «فالجيفو» فأعيد إلى ڤيينا مهانا، ولم يستطع أن يتحمل مهانته، فجن، ومات.

وكان المالك التالي للسيارة ضابط في الجيش النمسوي من هيئة أركان «بيوتريك» وبعد تسعة أيام من امتلاكه السيارة صدم بها اثنين من الفلاحين فقتلهما، ثم اصطدم هو نفسه بشجرة فدقت عنقه.

وفي نهاية الحرب امتلك السيارة حاكم يوغوسلافيا، فوقعت له أربعة حوادث طرق في أربعة أشهر، وفقد في الحادث الأخير ذراعه فباع السيارة إلى طبيب، وبعد ستة أشهر عثر على السيارة المشؤومة في حفرة والطبيب مسحوق

بداخلها، وذهبت السيارة بعد ذلك إلى تاجر مجوهرات ثري، ولم يلبث أن انتحر بعد عام، وامتلك السيارة طبيب آخر، ولكنه تشاءم منها فباعها بخسارة كبيرة إلى رياضي سويسري يحترف سباق السيارات، وقتل المالك الجديد في سباق بجبال الألب الإيطالية عندما ارتطمت السيارة في السور، وكان المالك التالي مزارع من الصرب، ومات هو أيضا في حادث بداخلها، أما المالك الأخير فكان صاحب «كراج» سيارات يدعى تيبور هيرشفيلد، وذات يوم كان عائدا بالسيارة مع ستة من أصدقائه بعد حضورهم حفل عرس، وحاول هيرشفيلد أن يتجاوز سيارة أخرى أمامه، فانقلبت بهم السيارة وقتل مع أربعة من أصدقائه، ويبدو أن هذا السجل أصبح حافلا بما فيه الكفاية فنقلت السيارة إلى متحف ڤيينا حيث لا تزال فيه إلى اليوم .

القصر المشؤوم

وهناك مثال آخر للمنازل التي تجلب سوء الحظ لسكانها هو قلعة «ميرامار» بالقرب من (تريستا)، فقد بنى هذا القصر الامبراطور (فرانز جوزيف) امبراطور النمسا في منتصف القرن التاسع عشر، ولكنه لم يسكن فيه، وكان أول من سكنه (الارشيدوق ماكسميليان) الذي أصبح امبراطورا فيما بعد على المكسيك وأعدم هناك أمام فرقة إطلاق النار، وأصيبت زوجته بالجنون. وسكنت القصر بعد ذلك (الامبراطورة اليزابيث) وابنها الأمير (رودلف)، وفي عام ١٨٨٩ قتل (رودلف) عشيقته البارونة (ماري فيتسيرا) داخل قصر (ميرامار) وانتحر أمام جثتها، وفي عام ١٨٩٨ اغتيلت (الامبراطورة اليزابيث) على يد فوضوي إيطالي يؤمن بتحرير إيطاليا من النمسا.

وكان التالي في سكنى القصر هو (الارشيدوق فرنسيس فرديناند) ابن عم (رودلف) وصاحب السيارة المشؤومة التي قتل فيها عام ١٩١٤ مما أدى إلى قيام الحرب العالمية الأولى، وفي نهاية هذه الحرب انتقل للإقامة في «ميرامار» (الدوق اوستا)، وقد مات هذا الدوق النمسوي في معسكر اعتقال بريطاني أثناء الحرب، ثم أقام في القصر على التوالي اثنان من الجنرالات الانجليز أثناء احتلال الحلفاء لإيطاليا، وقد مات الاثنان بالسكتة القلبية واحد بعد الآخر، وتحولت قلعة (ميرامار) بعد ذلك إلى متحف!

المطلب السابع
دعاء يدفع شؤم الثلاث

وقد أرشد الرسول ﷺ المسلم إلى دعاء يدعو الله به إذا ما تزوج امرأة أو اشترى خادما أو دابة، فقد روى البخاري في (خلق أفعال العباد)، والنسائي في (عمل اليوم والليلة)، وابن ماجه في سننه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي والبغوي في (شرح السنة) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشرّ ما جبلتهاعليه، وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك»[1] وإسناده حسن وصححه النووي في الأذكار، وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد.

---

(١) القول السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: ١٥٨.

المبحث الرابع
الفـــأل

الفأل الكلمة الحسنة يسمعها الإنسان يستبشر بها.

قال ابن الأثير: «الفأل: أصله مهموز، وقد يخفف، وهو مثل أن يكون الرجل مريضا، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالبا، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته، فيتوقع صحة هذه البشرى، ويتنفس بذلك نفسه، لأنه وقع من القائل على جهة الاتفاق.

تقول منه: تفاءلت»[1].

وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه مثل هذا، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة) أخرجه البخاري ومسلم.

وللبخاري مثله، وقال: (ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة).

ولمسلم مثله، وقال: (ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة)[2].

وفي سنن الترمذي عن أنس أيضا أنَّ رسول الله ﷺ (كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد، يا نجيح). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح»[3].

---

(١) جامع الأصول: ٦٣٨/٧.

(٢) جامع الأصول: ٦٣١/٧.

(٣) سنن الترمذي: ١٦١/٤. ورقم الحديث: ١٦١٦.

وقد يسأل سائل عن الفرق بين الفأل والتطير، والسر في استحباب الأول وتحريم الثاني، وقد أجاب ابن الأثير عن هذا بقوله: «الفأل فيما يرجى وقوعه من الخير، ويحسن ظاهره ويسر والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل، لأنَّ الناس إذا أمَّلوا فائدة من الله، ورجوا عائدته عند كلِّ سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، وإن لم يدركوا ما أمّلوا فقد أصابوا في الرجاء من الله وطلب ما عنده، وفي الرجاء لهم خير معجّل، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءَهم من الله كان ذلك من الشر؟

فأما الطيرة، فإنَّ فيها سوء الظن، وقطع الرجاء، وتوقع البلاء وقنوط النفس من الخير، وذلك مذموم بين العقلاء، منهي عنه من جهة الشرع»[1].

---

(١) جامع الأصول . ٦٣١/٧.

المبحث الخامس

حكم أدعياء علم الغيب

الذين يدعون الغيب ضالون، فالغيب لله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١).

والرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى، وقد أمر الله رسوله أن يعلن هذا ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

والجن لا يعلمون الغيب، وقد قبض الله روح نبيه سليمان، وهو واقف على عصاه، وكان الجن ينظرون إليه، ويقومون بالأعمال الشاقة ظانين أنه لا يزال حيًا، فلما أكلت دابة الأرض عصاته وخرّ على الأرض تبينت الجن وظهر للناس أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾(٣).

وقد ذمَّ الرسول ﷺ الكهان، وحرّم الكهانة، وعظم جرم الذين يأتون الكهان، ومنهم العرافون والضاربون بالرمل والمنجمون، ففي صحيح مسلم عن

---

(١) سورة النمل: ٦٥.
(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٣) سورة سبأ: ١٤.

بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أمورا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان. قال: «فلا تأتوا الكهان» قال: قلت: كنا نتطير.

قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم[2].

وعن عمران بن حصين مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[3].

وقد ذمَّ العلماء الكهان وحذروا منهم، وكفروهم وفسقوهم، قال ابن عابدين: «دعوى علم الغيب معارضة لنصِّ القرآن، فيكفر بها إلا إذا أسند ذلك صريحا أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام، وكذا لو أسنده إلى إمارة عادية بجعل الله تعالى»[4].

وقال: «الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال والمنجم، وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى، والذي يدعي أنَّ له صاحبا من

---

(١) صحيح مسلم: ٤/١٧٥١. ورقم الحديث: ٢٢٣٠.
(٢) صحيح مسلم: ٤/١٧٤٨.
(٣) رواه البزار بإسناد حسن كما في الترغيب للحافظ المنذري: (٤/٣٣) وقال المنذري: إسناده جيد.
(٤) حاشية ابن عابدين: ٤/٢٤٣.

الجن يخبره عما سيكون، والكلُّ مذموم شرعا محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر. وفي البزازيّة: يكفر بادعاء علم الغيب وبإتيان الكاهن وتصديقه. وفي (التتارخانية): يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات، أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي»[1].

ومذهب الحنابلة أنَّ الكاهن والعراف كالساحر يكفر بكهانته وعرافته ويقتل بذلك، وعندهم رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن عقيل أنه لا يكفر. قال في (الترغيب): الكاهن والمنجم كالساحر عند أصحابنا، وابن عقيل فَسَّقه فقط إن قال: أصبت بحدسي وفراستي[2].

والتحقيق في المسألة أنَّ الذين يدَّعون علم الغيب من الكهان والعرافين إن كانوا من أولياء الشيطان الذين تتنزل عليهم الشياطين فهم كفار، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[3] وقد نصَّ القرآن على أنَّ الذين تنزل عليهم الشياطين هم أولياء الشياطين ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾[4] ومن كان وليا للشيطان لا يمكن أن يكون وليا للرحمن ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[5].

وإن كان أدعياء الغيب من الذين يدجلون على الناس، ويقولون بالخرص والتخمين، ولكنهم يخدعون الناس زاعمين أنَّ لديهم القدرة على الاطلاع على

---

(١) حاشية ابن عابدين: ٤/٤٤٢.
(٢) راجع المغني: ٨/١٥٥ والإنصاف: ١٠/٣٥١ والمقنع: ٣/٥٢٤.
(٣) سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣.
(٤) سورة الأنعام: ١٢١.
(٥) سورة النساء: ١١٩.

الغيب من خلال الخط بالرمل، والنظر في اليد والفنجان وما أشبه ذلك فهؤلاء ضالون يستحقون التأديب والتعزير، ولا نحكم عليهم بالكفر ما لم يعتقدوا استباحة ذلك.

ومثل هذا يقال في الذين يأتون الكهان، فإن كانوا جازمين باستباحة ذلك، وصدقوهم فيما يدعون فهذا كفر، لأنَّ هؤلاء كَذَّبوا الله في خبره أنه وحده عالم الغيب ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2] ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[3].

وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى عن قوله ﷺ «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». هل هذا الكفر ناقل عن الملة؟

فأجاب «اختلف أهل العلم فيه، فقيل إنه لا يخرجه من الإسلام، بل هو من العصاة من أهل الإسلام المتغلظة معاصيهم، وإلا لو كان كافرا لما قيد الوعيد بأربعين، ــ يعني قوله ــ (لم تقبل له صلاة أربعين يوما). وقيل: إن هذا الحديث من أحاديث الوعيد فيمر كما جاء، ولا يتعرض له بتأويل، وهذا قول أحمد وعامّة السلف، لأنَّ ذلك أبلغ في الردع عن الجرائم.

فالأول ليس من التأويل، وهو تأدب في المعنى مع اللفظ، والثاني تأدب مع اللفظ، وكلٌّ مصيب.

---

(١) سورة النمل: ٦٥.
(٢) سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٧.
(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

ثم قال: «ولكنَّ الأولى أن يقال لمن يُظنُّ أنه يرى مذهب الخوارج: لا ينقل، فإنه بيان لحكمه، فإنَّ الخوارج زعموا أنه وأشباهه دليل على تكفير العصاة من أمّة محمد ﷺ، وإن كان الحال مأمون أن ينزع به أحد إلى تكفير العصاة، قيل كما في النصِّ، أطلق كما أطلق النصُّ.

وكذلك المنجم والضارب بالحصى والودع، لكن عدم كفر الواحد منهما مالم يعتقد إباحته، فإن اعتقد إباحته فهو مرتد، لأن برهانها ظاهر بالشرع، لأنه معلق على الاستخذاء للشياطين واستمتاع الشياطين بهم، وكذلك ما لم يدع أنه يعلم الغيب أو يدع التصرف في الوجود في بعض الأشياء، وكثير منهم أو أكثرهم لا ينفكون عن ادعاء علم المغيبات، ويعزر أصحاب هذه الأمور تعزيزا يردعهم وأمثالهم، ثم يكف عنهم، والتعزير يرجع إلى الإمام الناظر النظر الشرعي، فإذا اقتضى القتل لاسيما من كان له شهرة في ذلك، فإنه يقتل»[1].

وقد يشكل على القول بتحريم الكهانة والعرافة الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»[2].

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، والصحيح أنَّ معناه من وافق خطه فهو مباح له. ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح. وعلى ذلك فإنه حرام، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين.
وإنما قال النبي ﷺ: (فمن وافق خطه فذاك). ولم يقل: فهو حرام بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أنَّ هذا النصَّ يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ نبينا على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا.

---

(١) فتاوي ورسائل محمد بن إبراهيم: ١/١٦٥.
(٢) صحيح مسلم: ٤/١٧٤٩.

الفصل الرابع عشر
المؤلفات في السحر

كان السحرة على مرّ العصور يرجعون إلى كتب مدونة في السحر، يستمدون منها هذا الضلال الذي يقومون به ويضرون به العباد.

ولكنّ هذه الكتب لم تنتشر لأمرين:

الأول: أنّ السحرة يضنون بنشر هذه الكتب وبثها بين الناس.

والثاني: أنّ كثيرا من الناس يتشاءمون من هذه الكتب ونشرها والاحتفاظ بها.

وقد حفظت لنا بعض المكتبات العامة في مختلف دول العالم بعض المؤلفات عن السحر، ولكنها لا تسمح بالإطلاع عليها إلا للباحثين المتخصصين وتحت شروط مشدّدة.

والمؤلفات في السحر نوعان: نوع يبحث في عمل السحر، وكيف يصبح الإنسان ساحرا. وهذه المؤلفات عند أصحابها بمثابة المصاحف عند المسلمين، فهي ترسم للساحر طريقة حياته في طعامه وشرابه ولباسه، وعلاقاته بالناس، ومجاهداته، والذي يرسم ذلك كلّه الشيطان، كي يُعَبِّدَ البشر لذاته الخبيثة، وهذه هي كتب السحر التي يحرم اقتناؤها وقراءتها ونشرها.

والنوع الثاني: الكتب الباحثة في السحر لمعرفة حقيقته وبيان فساده وضلال السحرة مثل مؤلفنا هذا.

فمن المؤلفات من النوع الأول كتاب (الإيضاح والبساتين لأرواح الجن والشياطين)، وكتاب (بغية الناشد ومطلب القاصد على طريقة العبرانيين)، وكتاب (الجمهرة ورسائل أرسطو)، وكتاب (الوقوفات على طريقة اليونانيين)، وكتاب (العمى) على طريقة العبرانيين، (ومرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني) على طريقة الهند.

ذكر هذه الكتب حاجي خليفة في (كشف الظنون).

ومن هذه الكتب (الفلاحة النبطية)، لابن وحشية من أوضاع أهل بابل وكتاب (مصاحف الكواكب السبعة)، وكتاب (طمطم الهندي)، ومؤلفات وضعها جابر بن حيان، وكتاب (غاية الحكيم) لمحمد المجريطي الأندلسي.

وهذه الكتب ذكرها ابن خلدون في مقدمته، وذكر أن الأخير وهو (غاية الحكيم) هو مدونة هذه العلوم، وفيه استيفاؤها وكمال مسالكها.

وذكر محمد محمد جعفر عدة مؤلفات تداولها السحرة فى الغرب، ويذكر أنَّ أول كتاب كتب في السحر هو الذي كتبه الساحر (زورستر) ويذكر أنَّ هذا الكتاب هو مرجع السحرة الأول.

وفي مكتبة (الترسانة) بباريس مؤلف في السحر، لا يوجد منه نسخة أخرى في غيرها، وهذا الكتاب يسمى (أسرار سحر ابرا) The secret magic of abra لمؤلفه الساحر Melin.

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ هذا الساحر استمد مؤلفه من مؤلفات ساحر يهودي يدعى (إبراهام)، كتبها لنجله (يافح) عام ١٤٦٨.

ومن أعظم كتب السحر التي يستعملها اليهود كتاب (كبالة)، وهو مخطوط بالعبرية في عشر مجلدات، ولا يسمح اليهود الذين تحت يدهم هذا الكتاب

لغيرهم بالاطلاع عليه.

ومن المؤلفات في السحر كتاب (الحكيم) لفرنسيس بارت.

ومن عهود بعيدة كان السحرة وأهل الضلال ينسبون هذا الكتاب الذي دعوه زورا وبهتانا بالحكيم إلى نبي الله سليمان.

وكان هذا الكتاب متداولا في عهد الامبراطور (فسباسيان)، وهو مملؤ بالعزائم والرقى الخاصة باستحضار الجن والشياطين.

وذكر المؤرخ (فلافيوس جوزيفوس Flavius Jozephus) وكان معاصرا لذلك العهد أنَّ هذا الكتاب كان في حوزة يهودي يدعى العازار. وقد استطاع هذا اليهودي في حضرة الإمبراطور (فسباسيان) أن يبرىء أشخاصاً مستهم الجن وذلك بأن وضع في أنوفهم حلقات عليها رسوم خاصة وضعها سليمان لهذا الغرض، ثمَّ تلى في الوقت ذاته بعض الصيغ التي ذكرها سليمان في هذا الكتاب.

وقد أضيف إلى هذا الكتاب بمضي الزمن الكثير من الصيغ والتعاويذ السحرية، ولعلَّ هذا الكتاب هو النواة التي خرج منها كتاب «مفاتيح سليمان»، وهو كتاب السحر الذي ذاع صيته في القرون الوسطى، وكان يعرف باسم (Cla-vicule de Salomon).

والكتَّاب في مختلف العصور يتحدثون عن كتب السحر التي تنسب إلى سليمان، ففي القرن الحادي عشر تحدث الكاتب اليوناني (ميخائيل سللوس Michael Psellus) عن رسالة في الجن وخواص الأحجار، وذكر أنَّ مؤلفها هو سليمان الحكيم. وتحدث مؤرخ بيزنطي آخر من أهل القرن الثالث عشر في تاريخه عن الإمبراطور (مانويل كومنينوس Manuel Comnenus) عن كتاب في السحر لاشك أنه هو كتاب «مفاتيح سليمان» السالف الذكر. وذكر أنَّ هذا

الكتاب كان في حوزة هارون إسحاق مترجم الإمبراطور. وقال إنَّ الذي يقرأ هذا الكتاب يستطيع أن يستحضر كتائب جمة من الجن والشياطين.

ويظهر أنَّ هذا الكتاب قد انتقل في القرن الثالث عشر من العالم البيزنطي إلى العالم اللاتيني، وتذهب الروايات أنَّ البابا (هنوريوس الثالث) الذي خلف (البابا إينوسنت الثالث) على الكرسي البابوي عام ١٢١٦ قد أعد نسخة جديدة من هذا الكتاب.

وقد اتهم لذلك بالشعوذة والسحر كما اتهم بذلك أيضا البابوات (ليو الثالث، وجون الثاني والعشرين، وسلفستر الثاني).

وكان الراهب المشهور (روجر باكون) الذي توفى عام ١٢٩٤ على دراية بكتب السحر التي تنسب إلى سليمان الحكيم، ولكنه كان يرى عدم صحة نسبتها إلى سليمان لما عرف عن هذا النبي من الفضل والحكمة. وفي حوالي عام ١٣٥٠ أمر (البابا إينوسنت السادس) بحرق كتاب كبير في السحر يسمى (كتاب سليمان) ويذكرون أنَّ هذا الكتاب كان مليئاً بالقواعد والتعازيم الخاصة باستحضار الجن.

ويستخلص من هذه الإشارات المختلفة التي أوردها المؤرخون المسيحيون في مختلف العصور أنَّ كتاب السحر الذي ينسب إلى سليمان كان منتشراً في مكتبات أوروبا، ولعلَّ هذا الكتاب كان خليطاً من طقوس وشعائر سحرية من أصل يهودي بعضها ينسب إلى سليمان، والبعض الآخر يرجع إلى عهود أخرى غير عهد سليمان، ومنها تعازيم وصيغ سحرية لاستحضار الجن قديمة العهد جدًّا كانت منقوشة باللغة المسمارية على ألواح (نينوى).

وما إن قاربت العصور الوسطى على الانتهاء حتى كانت هناك عدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب موزعة في جميع أنحاء أوروبا. وقد اهتم علماء عصر

النهضة بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً، وظهرت منه أول نسخة مطبوعة في عام ١٦٢٩، ثم أعيد طبع هذا الكتاب بعد ذلك مراراً.

على أنَّ هذه النسخ المطبوعة لم يكن لها أية قيمة من الناحية العملية التطبيقية، لأنَّ التقاليد جرت على أنَّ الساحر الذي يحترم نفسه وفنه يجب أن يكون لديه نسخة مخطوطة من كتاب سليمان، وأن مراعاة هذا الشرط خير ضمان لنجاح عملية استحضار الجن والشياطين.

وقد ذكر كاتب مقدمة هذا الكتاب أنَّ سليمان قد عهد بهذا الكتاب وهو «مفاتيح سليمان» إلى ولده (رحبعم) وأنه دارت بين سليمان وولده هذا الحوار:

«تذكر يا ولدي (رحبعم) أنك أعز الأشياء عندي في هذا العالم، وأنَّ خالق المخلوقات جميعاً قد جمع في شخصي كلَّ حكمة».

فيجيبه (رحبعم): «وما هو سبيلي حتى أكون في ذلك مثل أبي».

فيقول سليمان: «إنَّ ملاك الربِّ قد أوحى إليَّ بذلك في المنام، فقد ذكرت الاسم المقدس «يهوَه» (الله)، وسألته أن يهبني وسائل الحكمة، فأراني إياها ملاك الرب في المنام، وقال لي: أخف سر الأسرار على أحسن ما يكون الإخفاء؛ لأنه سيأتي اليوم الذي ستتلاشى فيه العلوم، وتختفي تماماً، وتصبح باطلا من الأباطيل، واعلم أن يومك بات قريباً؛ وعند ذلك استيقظت من النوم كرجل مخمور أرتعد من الخوف وأخذت أفكر فيما عسى أن أصنعه في هذا الأمر».

ثم أوصى الملك سليمان ولده (رحبعم) أن يدفن معه هذا الكتاب في قبره. وقد تمَّ كلُّ شيء كما أمر سليمان، وظلَّ هذا الكتاب مخبوءاً زمناً طويلا إلى أن عثر عليه في قبر سليمان بعض فلاسفة بابل من صحابة سليمان. وقد وجدوا هذا الكتاب محفوظاً في صندوق عاجي فأخذوه، ولكن لم يستطع أحد منهم قراءته أو

فهم ما جاء به، وذلك لغموض ألفاظ هذا العلم الخفي.

ثم تذكر المقدمة بعد ذلك أنَّ فيلسوفاً من هؤلاء الفلاسفة ويدعى (تزجرك Tozgrec) كان جالساً ذات يوم في غرفته يتأمل هذا الكتاب ويفكر فيه إذا بملاك الرب يتجلى له ويقول مخاطبا إياه: «انظر واقرأ هذا الكتاب الصغير، فإنَّ الألفاظ التي تبدو خافية عليك سوف يسهل عليك توضيحها» وعند ذلك ابتهج (تزجرك) غاية الابتهاج ونظر في هذا الكتاب، فاستطاع أن يقرأ ما فيه بعد أن أعيى الجميع قراءته، وعند ذلك ابتهل إلى الله أن لا يقع هذا الكتاب في حوزة جاهل ثمل قال:

«إني أستحلف كلَّ من يقع في يديه هذا الكتاب بأعضاء بدنه، وبكلِّ ما يرغب فيه، ويرمي إلى عمله أن لا يترجم هذا الكتاب، ولا أن يفسره، ولا أن يظهره لأحد، اللهم إلا لأعظم الناس علماً وحكمة».

ونجد بعد هذه المقدمة فصولا خاصة بالأعمال التمهيدية المتصلة باستحضار الجن والشياطين[1]، وكلُّ هذا كذب وافتراء على ذلك النبي الكريم.

ومن المؤلفات التي تبحث في النوع الثاني كتاب (الأساطير العربية والخرافات) للدكتور مصطفى الجوزو. وكتاب (الأساطير والخرافات عند العرب قبل الإسلام) للدكتور محمد عبدالمعين خان الأفغاني، وقد نال المؤلف على مؤلفه هذا درجة الدكتوراة، ونشر في القاهرة في عام ١٩٣٨[2].

---

(١) كشف الظنون: ٢/٩٨١.

(٢) كتاب فنون السحر: ص ٥٣ ـ ٥٧.

وكتاب (اللعب مع الشيطان) لمؤلفة البريطاني (جون ديموس) صدر في عام ١٩٨٣.

وقد أثبتنا في مراجع مؤلفنا هذا أسماء كثير من المؤلفات التي رجعنا إليها في هذا النوع.

الخاتمة

يمكننا أن نجمل أهم ما توصل إليه البحث بالآتي:

١ ــ السحر عالم عجيب، جميل ظاهره عفن باطنه، تختلط فيه الحقيقة بالخرافة، والشعوذة بالعلم، ويعتمد فيه الساحر على الخفة والعلم والابهام، كما يستعين فيه بالشياطين.

٢ ــ السحر انحراف قديم في تاريخ الإنسان، فقد عرفته الشعوب والأمم عبر تاريخ البشرية المديد، وأضلّ به الشيطان جبلا كثيرا، وقد أفسد بالسحر فطرة الإنسان، وعبده به لغير الله فأوبقة وأهلكه.

٣ ــ لم ينته السحر في هذا العصر ولم يتوقف، بل لايزال للسحرة دور كبير في حياة البشر، ولا تزال الجهود الإنسانية تجرى وراء أوهام السحرة والعرافين والدجالين، وتضيع في جريها وراءهم الأوقات والأموال، وتزهق بسبب ذلك أيضا النفوس والأرواح.

٤ ــ السحر علم مكتسب يحصل بالتعلم والصناعة، ويمكن أن يحوزه الأذكياء والأغبياء، ولكن لا يمكن أن يتعاطاه الصالحون الأتقياء، وحال السحرة تدلُّ عليهم، فهم أفسق الناس وأرذلهم.

٥ ــ ليس السحر من باب خرق العادة، وإنما يرجع إلى أسباب خفية لا نعلمها، وقد تصبح الأسرار السحرية مشاعا معلوما يعرفه الناس كلهم. مع

تقدم المعارف والعلوم، وقد يكون اعتماد السحرة على الجن والشياطين، وللجن والشياطين قدرات تبدو للإنسان كأنها خارقة للعادة.

٦ ــ للسحر حقيقة، فقد ينتقل الساحر من مكان إلى مكان بسرعة لا يألفها البشر، وقد يمرض الساحر ويضر، ولكن لقدرته حدودا لا يمكن تجاوزها، فلا يستطيع الساحر أن يوقف الشمس، ويسقط النجوم، ويوقف حركة الأرض، ويبعث الحياة في الأموات، ويخلق من الجماد أحياء، كما لا يستطيع مسخ الإنسان حيوانا أو الحيوان إنسانا، وكل ما أوهم فعل شيء من ذلك فهو حيلة تروج على أصحاب العقول الضعيفة.

٧ ــ يمكن للسحر أن يبطله ساحر مثله، وقد يبطله الأتقياء الصلحاء الذين يلجؤون إلى الله ويحتمون به.

٨ ــ السحر أنواع منه الحقيقي، ومنه التخييلي، ومنه المجازي، ولكن أكثر السحرة يخلط في سحره بين أنواع السحر كلها، فالساحر يستعمل كلَّ ما يمكنه من قدرات للضحك على عقول البشر، وقد يكون ما يستخدمه حيلا علمية، أو حيلا تخييلية، وقد يستعين بالشياطين.

٩ ــ لا يستطيع الساحر أن يرتقي في سحره ما لم يعبد نفسه للشيطان، وكلما ارتقى في العبودية لهذا المخلوق اللعين ارتقي في السحر، ولذلك فإن الساحر تتدنس نفسه بالخبث والفساد وتتلذذ بالشر، وتتعاظم عنده الرغبة الدائمة في الإيذاء.

والشيطان يلزم الساحر بالكفر والشرك ومحادة الله ورسوله، ويأمره بكلِّ ما يغضب الرحمن، ويبعده عن الهداية والإيمان.

ومع كلِّ الولاء الذي يظهره الساحر للشيطان، فإنَّ الشيطان يتخلى عن الساحر وهو في أشدّ الحاجة إليه، ويتركه لمصيره الرهيب عندما ينزل به العذاب،

وتحيط به الصعاب.

١٠ ــ سيادة المادة في هذا العصر، وشقاء الروح بسبب انقطاع الصلة بالله في هذا العصر أدى إلى توجه كثير من الناس إلى السحرة يداوون أمراض النفوس، ويطلبون الراحة لنفوسهم المتعبة المكدودة، فلم يجدوا عندهم إلا مزيدا من الداء والبلاء.

١١ ــ للأمم طرائق كثيرة للوقاية من السحر قبل وقوعه، وللخلاص منه إذا وقع، وكثير من هذه الطرق مبنية على اللجوء إلى السحرة، وتقوم في مجملها على الكفر والشرك والضلال، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وهديه يقوم على الاحتماء بالله، والالتجاء إليه، وقراءة القرآن والأدعية والأذكار.

١٢ ــ كل الرقى مباحة مالم تكن شركا.

١٣ ــ لا يجوز تعلم السحر ولا تعليمه بحال من الأحوال، والذين أباحوا تعلمه من أهل العلم قلة شذت، ولا يجوز الالتفات إلى مذهبهم والعمل به.

١٤ ــ لا يختلف أهل العلم في الحكم على الساحر بالكفر إذا كان سحره من نوع الاستعانة بالشياطين والكواكب والنجوم، ويجب قتله في هذه الحال، أمّا إذا كان سحره بالحيل الصناعية، فإنه يعزر لإفساده عقائد الناس، حيث يوهمهم بسحره بالقدرة على ما لايقدر عليه إلا الله.

١٥ ــ الصحيح أنَّ توبة الساحر قبل القدرة عليه مقبولة، أما عند الله فإن باب التوبة مفتوح، ولا يحجب التوبة عنه أحد.

١٦ ــ لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يجوز الاستعانة بأدعياء الغيب من المنجمين والكهان والعرافين، ويجب على الحكام أن يحاربوا هذا النوع من الدجل، ويوقعوا بأهله شتى أنواع العقوبات، وعلى العلماء أن يحذروا المسلمين من اللجوء إلى هؤلاء الدجالين.

١٧ ــ كثير من أدعياء الغيب هم ممن لهم فراسة في الأمور، وبعضهم يكون استعانته بالشياطين.

١٨ ــ على المسلمين أن يتوكلوا على ربهم فيما ينوبهم من مصائب ومشكلات، ولا يلجؤون إلى السحرة والعرافين والكهان، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1].

---

(١) سورة الطلاق : ٣.

المراجع مرتبة على حروف المعجم

١ ـ أحكام القرآن لأبي بكر الرازي. دار الفكر للطباعة والنشر.

٢ ـ أحكام القرآن لابن العربي. مكتبة عيسى البابي الحلبي. ١٣٠٧هـ ١٩٦٧م.

٣ ـ أصل الاعتقاد للمؤلف. المكتبة السلفية ـ الكويت.

٤ ـ أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

٥ ـ أعلام الموقعين لابن القيم. دار الكتب الحديثة ـ القاهرة. ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٦ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي. مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة الأولى ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.

٧ ـ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية. إدارة الطباعة المنيريَّة ـ القاهرة. الأولى ١٣٤٣هـ.

٨ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير. مكتبة المعارف ـ بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٧٤م ١٣٩٤هـ.

١٠ ـ بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة. ١٣٨٣هـ.

١١ ــ التعريفات للجرجاني. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.
١٢ ــ التفاؤل والتشاؤم لنجيب يوسف بدوي. دار المعارف. مصر ١٩٦٨م.
١٣ ــ تفسير ابن كثير. طبعة دار الأندلس ـ بيروت. الطبعة الأولى. ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
١٤ ــ تفسير الطبري. طبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
١٥ ــ تفسير القرطبي. طبعة دار الكتب المصرية. ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
١٦ ــ التفسير القيم لابن القيم. جمع محمد أويس الندوي. طبعة لجنة التراث العربي ـ بيروت.
١٧ ــ تفسير الماوردي. نشر وزارة الأوقاف ـ الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
١٨ ــ التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٢.
١٩ ــ التنبؤ بالغيب لأحمد الشنتناوي. دار المعارف ـ مصر. ١٩٥٩م.
٢٠ ــ التوراة. طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٢١ ــ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. نشر الرئاسة العامة للبحوث. السعودية.
٢٢ ــ جامع الأصول لابن الأثير. مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ـ دمشق. الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
٢٣ ــ حاشية ابن عابدين. طبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الثانية ـ ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.
٢٤ ــ حجة القراءات لابن زنجله. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. الطبعة الأولى

٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٥ ــ حقائق وغرائب لمحمد العزب موسى. مكتبة مدبولي بالقاهرة. ودار زيدون بلبنان.
٢٦ ــ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧١.
٢٧ ــ درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام. تحقيق محمد رشاد سالم. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض.
٢٨ ــ الدين الخالص لصديق حسن خان. مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.
٢٩ ــ رحلة ابن بطوطة. تحقيق د. علي المنتصر الكتاني. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٣٠ ــ الرسل والرسالات للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٣١ ــ روح المعاني للألوسي. إدارة الطباعة المنيرية.
٣٢ ــ روضة الطالبين للنووي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٣٣ ــ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. المكتب الإسلامي. الطبعة الأولى. ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٤ ــ زاد المعاد لابن القيم. المطبعة المصرية ومكتبتها.
٣٥ ــ الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي. دار المعرفة ـ بيروت.
٣٦ ــ السحر لمحمد محمد جعفر. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٨.
٣٧ ــ السحر لإبراهيم محمد الجمل. مكتبة القرآن للطباعة والنشر ـ القاهرة.
٣٨ ــ السحر بين الحقيقة والوهم لعبدالسلام عبدالرحيم السكري. مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة بطنطا ـ مصر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣٩ ــ سنن أبي داود ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.

٤٠ ــ سنن الترمذي. تحقيق محمد أحمد شاكر. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. الطبعة الأولى. ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.
٤١ ــ السيرة النبوية لابن هشام. مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
٤٢ ــ الشرح الصغير إلى أقرب المسالك للدردير. دار المعارف ـ مصر. ١٩٧٤.
٤٣ ــ شرح العقيدة الطحاوية. لمحمد بن محمد بن أبي العز الحنفي. المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩١هـ.
٤٤ ــ شرح النووي على مسلم. المطبعة المصرية ومكتبتها.
٤٥ ــ الشفا للقاضي عياض. انظره مع شرحه لنور الدين القاري. مطبعة المدني ـ القاهرة.
٤٦ ــ صحيح البخاري. متن فتح الباري. طبعة السلفية ـ القاهرة. الطبعة الأولى.
٤٧ ــ صحيح مسلم. طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢.
٤٨ ــ عالم الجن والشياطين للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٤٩ ــ علوم الدين الإسلامي لعمر رضا كحالة. مطبعة الحجاز ـ دمشق. ١٣٩٤ ١٩٧٤.
٥٠ ــ غرائب وعجائب الجن، لبدر الدين بن عبدالله الشبلي. مكتبة القرآن ـ القاهرة. الطبعة الأولى.
٥١ ــ فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم. جمع وترتيب ابن قاسم. مطبعة الحكومة بمكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٣٩٩هـ.
٥٢ ــ فتح الباري. لابن حجر العسقلاني. المكتبة السلفية. القاهرة الأولى.
٥٣ ــ فتح القدير للشوكاني. دار إحياء التراث ـ بيروت.

٥٤ ــ الفروق للقرافي. دار المعرفة ـ بيروت.
٥٥ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.
٥٦ ــ فن الشعوذة الحديثة ـ من مذكرات شارلوك هولمز. تعريب فؤاد واصف طبعة دار الهلال. ١٩٢٣م.
٥٧ ــ فنون السحر لأحمد الشنتناوي. دار المعرفة ـ مصر. ١٩٥٧م.
٥٨ ــ في ظلال القرآن لسيد قطب. طبعة دار الشروق.
٥٩ ــ قصة الحضارة لول ديورانت. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثانية. ١٩٥٦.
٦٠ ــ قصة السحر والسحرة للرازي. أخرجها من تفسيره ونشرها محمد إبراهيم سليم. مكتبة القرآن.. القاهرة. الطبعة الأولى.
٦١ ــ القيامة الصغرى للمؤلف. مكتبة الفلاح ـ الكويت.
٦٢ ــ كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٢م.
٦٣ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة. مكتبة المثنى ـ بغداد. الطبعة الثانية ١٩٤٧م ١٣٧٨هـ.
٦٤ ــ لسان العرب. ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي. دار لسان العرب. بيروت. الطبعة الأولى.
٦٥ ــ نيل المرام. مكتبة المدني ـ جدة. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٦ ــ المبدع في شرح المقنع لابن مفلح. المكتب الإسلامي ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٧ ــ المحرر في الفقه لمجد الدين أبي البركات ابن تيمية. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦٨ ــ المحلى لابن حزم. تحقيق أحمد محمد شاكر. المكتب التجاري للطباعة ـ بيروت.
٦٩ ــ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع ابن قاسم. نشر دولة المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية.
٧٠ ــ المجموع للنووي. المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.
٧١ ــ مختصر تفسير المنار لمحمد أحمد كنعان. المكتب الإسلامي ـ بيروت: الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٧٢ ــ معارج القبول للشيخ حافظ حكمي. طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث. السعودية.
٧٣ ــ المغني لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.
٧٤ ــ المفردات للراغب. طبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٨١هـ ١٩٦١م.
٧٥ ــ مفتاح دار السعادة لابن القيم. مكتبة صبيح ـ القاهرة.
٧٦ ــ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. ١٣٨١هـ.
٧٧ ــ المقدمة لابن خلدون. مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٧٩م.
٧٨ ــ المقنع لابن قدامة. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض. ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٩ ــ مسند الإمام أحمد. المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٠ ــ منهاج السنة النبوية. مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.
٨١ ــ الملل والنحل للشهر ستاني. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٨٢ ــ الموسوعة العربية الميسرة. بإشراف محمد شفيق غربال. طبعة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين.
٨٣ ــ الموطأ للإمام مالك بن أنس. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبعة كتاب الشعب.